الفصل التمهيدي:

ويشتمل على المباحث التالية:

* **المبحث الأول:**

التعريف بجمهوريات شمال شرق القوقاز.

* **المبحث الثاني:**

دخول الإسلام واستقراره في جمهوريات شمال شرق القوقاز.

* **المبحث الثالث:**

الدعوة الإسلامية خلال العهدين القيصري والبلشفي في شمال شرق القوقاز.

* **المبحث الرابع:**

تفكك الاتحاد السوفييتي وجهاد الشعب الشيشاني من أجل الاستقلال.

المبحث الأول:

التعريف بجمهوريات شمال شرق القوقاز

ويشتمل على العناوين التالية:

أولاً: التعريف بإقليم القوقاز.

ثانياً: التعريف بجمهورية داغستان.

ثالثاً: التعريف بجمهورية الشيشان.

رابعاً: التعريف بجمهورية الأنغوش.

أولاً: التعريف بإقليم القوقاز:

إن التعريف بجمهوريات شمال شرق القوقاز. موضوع البحث. يقتضي التعريف أولاً بالإقليم الذي يضم تلك الجمهوريات. وهذا ما سيتم تناوله في هذا المدخل على النحو التالي:

- **أصل التسمية:**

القوقاز تسمية لاتينية مشتقة من قاوقازوس "kaukasus" التي وردت في كتابات المؤرخين والجغرافيين الإغريق القدامى، وتعود التسمية الروسية فقفاس "kavkas" إلى الأصل نفسه. ويعتقد أن أصل التسمية "قازقاز" وهي التسمية التي كان الحيثيون[١] يطلقونها على سكان الساحل الجنوبي من البحر الأسود[٢].

وفي المصادر العربية. لاسيما معجم البلدان. يطلق "ياقوت الحموي"[٣] اسم "القبق" على تلك الجبال[٤]. أما المصادر العربية الحديثة فهي تطلق مسمى "القوقاز" أو "القفقاس" على ذلك الإقليم[٥].

---

(١) انظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز. نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي" ص٧٠ ، ط(١) دار النفائس. بيروت، ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م).

(٢) الحيثيون: هم أول من عرف من سكان ما يسمى الآن تركيا. وقد بدؤوا في السيطرة على المنطقة حوالي عام ١٩٠٠ق.م، ثم غزوا أجزاء من بلاد ما بين النهرين وسوريا. وبحلول عام ١٥٠٠ق.م أصبح الحيثيون قوة رائدة، إلا أن العلماء لا يعرفون من أين أتي الحيثيون، من أوربا أو من آسيا الوسطى. انظر: "الموسوعة العربية العالمية" الصادرة عن مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ٩/ ٦١٣ ، ط(٢). الرياض، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م). وانظر محمد شفيق غربال "الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٧٤٦ ، ط دار إحياء التراث العربي. بيروت، ١٩٦٥م.

(٣) ياقوت الحموي: هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أو عبد الله شهاب الدين. مؤرخ أديب شاعر لغوي عالم بتقويم البلدان. ولد ببلاد الروم عام ٥٧٤هـ، و أعتقه مولاه عسكر الحموي. سافر و طاف بالبلدان و كتب عنها الكثير في كتابه الشهير«معجم البلدان» . توفي بمدينة حلب في رمضان عام ٦٢٦هـ. : انظر عمر رضا كحاله «معجم المؤلفين» ٤/ ٨٣ . ط(١) مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤١٤ هـ (١٩٩٣م) . و انظر خير الدين الزركلي "الأعلام" ٨/ ١٣١ ، ط(١) دار العلم للملايين. بيروت ، ١٩٩٢م.

(٤) انظر: ياقوت الحموي "معجم البلدان" ٤/ ٣٤٧ برقم (٩٤١٨).

(٥) انظر على سبيل المثال: "الموسوعة العربية العالمية" ١٨/ ٤٢٤ ، محمد جمال صادق "موسوعة تاريخ القفقاس والجركس" ط دار علاء الدين. دمشق، ١٩٩٦م.

● **الموقع والتضاريس:**

يقع إقليم القوقاز في المنطقة الواقعة بين البحر الأسود وبحر أزوف من الغرب، وبحر قزوين من الشرق، وتمتد شمالاً حتى حوض ما ينتش ونهر القوما، وجنوباً حتى السفوح الشمالية لهضبة أرمينيا بين دائرتي عرض ٤٠ ـ ٤٥ درجة شمالاً، وبين خطي طول ٣٧ ـ ٤٩ درجة شرق خط غرينتش. وتبلغ مساحة إقليم القوقاز ٤٠٠ ألف كم٢ [١].

وتنقسم منطقة القوقاز من الناحية التضاريسية إلى ثلاثة أقسام كما يلي:

١ـ سلسلة جبال القوقاز: وتمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي بطول ١٢٠٠كم مكونة حاجزاً عظيماً يفصل البحر الأسود عن بحر قزوين، وتقسم هذه السلسلة منطقة القوقاز إلى شرطين: أحدهما يسمى شمالي القوقاز، والآخر جنوبي القوقاز (ويطلق عليه الروس أحياناً: ما وراء القفقاس)[٢].

وتتصف سلسة جبال القوقاز بأنها مرتفعة في الشمال ويقل انحدارها كلما اتجهنا جنوباً، ويتخلل هذه السلسلة ممر "دريال" في وسطها، وفي هذا الممر يمر الطريق العسكري الذي شقه الروس ليصل ما بين جنوبي منطقة القوقاز وشمالها. وجبال القوقاز خالية من البحيرات، ولكن تكسوها الأحراج الكثيفة والغابات[٣].

٢ـ شمال القوقاز: ويتألف من سهول تتصل بسهول نهر الدون، وتكثر فيه المستنقعات والصحاري وفيه مساحات واسعة من المراعي.

٣ـ جنوبي القوقاز: ويتألف من سهول قليلة الاتساع أهمها سهل "ريون" الغربي، وهو من أخصب السهول ومزدحم بالسكان، وسهل "كور أراس" الشرقي. البركاني الذي يبلغ ارتفاعه ٥١٦٠م، وهو النقطة الرئيسة لتخوم ثلاث دول كبرى هي روسيا وتركيا وإيران. وتنتشر في سهول القوقاز الجنوبية البساتين والمراعي الواسعة[٤].

---

(١) تختلف المصادر في تحديد مساحة الإقليم. انظر على سبيل المثال:
. المصدر السابق، ص١٧ .
. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي" ١٤/٣١٨ ، ط(١) جامعة الإمام. الرياض، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م).

(٢) انظر: خريطة إقليم القوقاز: التضاريس الطبيعية ص٢٩ .

(٣) انظر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي" ١٤/٣١٨ وما بعدها. وانظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز.." ص٧ ، ٨ .

(٤) انظر: المرجع السابق.

خريطة رقم (١)

إقليم القوقاز. تضاريس طبيعية[١].

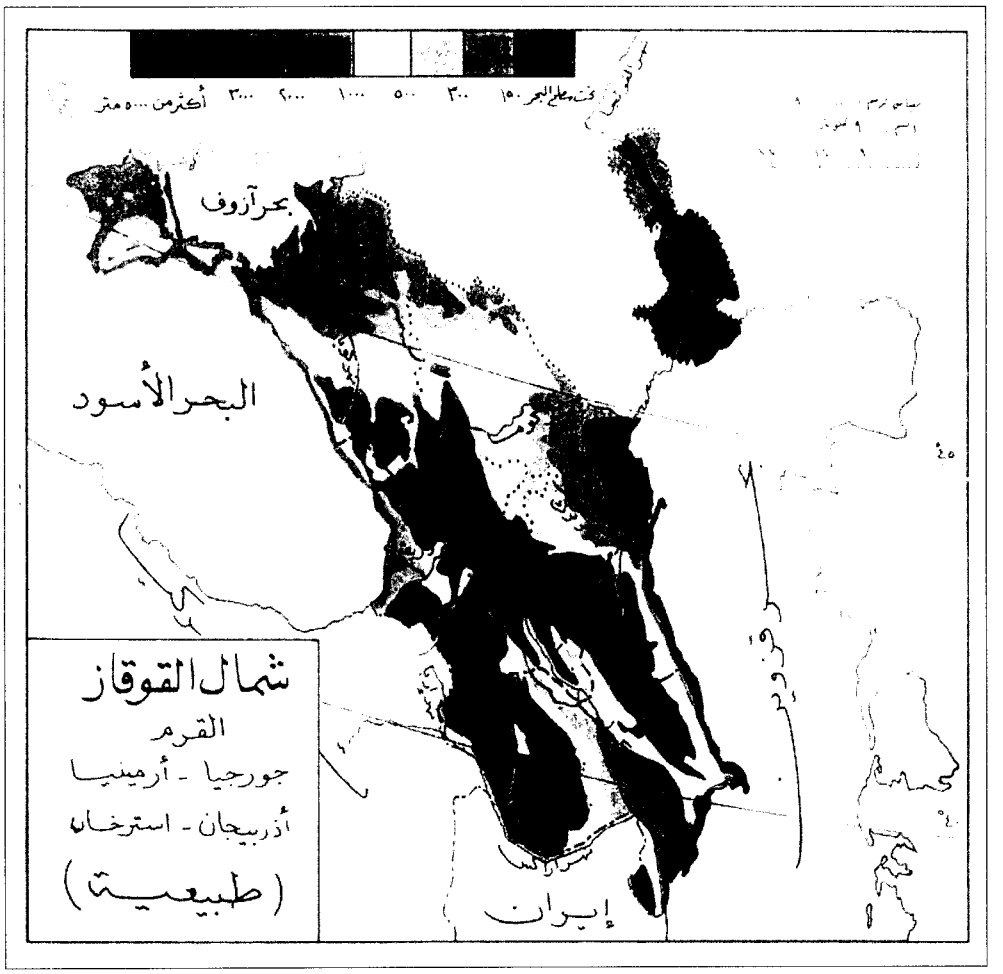

(١) المصدر: «د/ دولت صادق أطلس العالم الإسلامي» ص ٧٤ ، بإشراف د/ دولت صادق، ط دار البيان العربي - جدة، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م). بتصرف.

تحت تأثير مناخ سهول آسيا الوسطى الشديد الحرارة. والقوقاز الجنوبي مناخه أقرب إلى الاعتدال من باقي أجزاء القوقاز، وذلك لأن جبال القوقاز العالية تحول دون وصول الرياح الشمالية البادرة إليه[١].

● **أهمية موقع إقليم القوقاز:**

اكتسب إقليم القوقاز أهمية تاريخية كبيرة جعلته محطاً للأطماع الخارجية. وتبدو أهمية موقع القوقاز من خلال ما يلي:

أ. الأهمية الجغرافية: إن موقع إقليم القوقاز بين البحر الأسود وبحر قزوين جعله حلقة اتصال بين شعوب أوروبا وآسيا.

وتحتل سواحل البحر الأسود مكانة استراتيجية كبيرة في تطوير الروابط الاقتصادية والسياسية والثقافية بين أوروبا والشرق الأوسط[٢].

ب. الأهمية التاريخية: لقد كان للقوقاز أثره التاريخي الفاعل في نقل الحضارات بين الشرق والغرب، وقد عد المؤرخون القوقاز من أهم مراكز التحركات السياسية والاقتصادية، والهجرات البشرية منذ ظهور الإنسان على الأرض[٣]. يضاف إلى ذلك أن منطقة القوقاز كانت طريقاً تجارياً بين الهند والصين من جهة وأوربا من جهة ثانية.

جـ. الأهمية الاقتصادية: إن غنى القوقاز بثرواته وإنتاجها الزراعي، بالإضافة إلى موقعها الاقتصادي والتجاري المميز جعل السلطة الروسية تولي أهمية بالغة لها، وإن من الصعب تقدير أهمية القوقاز في حياة الدولة الروسية في هذا العرض الموجز، فقد أدى وجود الثروة الهائلة في باطن الأرض وظاهرها إلى جعل القوقاز مصدراً هائلاً لمواد الخام الصناعية الاستراتيجية وقاعدة اقتصادية هامة لروسيا[٤].

كما أن للقوقاز أهمية اقتصادية كبيرة كونه مصدراً للمنتجات الزراعية في الدولة الروسية، فشمال القوقاز تعتبر من أغنى مناطق روسيا في إنتاج القمح والذرة والشوندر السكري، وفي جنوب القوقاز نمت زراعة القطن والتبغ والعنب والشاي والحمضيات والزيتون وغيرها. وتزداد أهمية القوقاز الاقتصادية لوجود المراعي الواسعة والمعادن الثمينة[٥].

---

(١) انظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز..." ص٩ . ١٠ . وانظر: محمد جمال صادق "موسوعة تاريخ القفقاس والجركس" ص١٨ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في: محمد جمال صادق "موسوعة تاريخ القفقاس والجركس" ص١٩ .

(٣) انظر: "الموسوعة العربية العالمية" ٤٢٤ : ١٨ . وانظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز..." ص١١ .

(٤) انظر تفصيل ذلك في: محمد جمال صادق "موسوعة تاريخ القفقاس والجركس" ص١٩ وما بعدها. وكذلك: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز..." ص١١ .

(٥) انظر: المرجع السابق.

ثانياً: التعريف بجمهورية داغستان:

● الموقع والمساحة وأهم المدن:

داغستان هي إحدى جمهوريات شمال القوقاز ذات الحكم الذاتي التابعة للاتحاد الروسي. تقع على الساحل الغربي لبحر قزوين، وتبلغ مساحتها ٥٠,٣٠٠ كم٢. يحدها من الشرق بحر قزوين، ومن الغرب جمهورية الشيشان وإقليم ستافروبل الروسي، ومن الشمال جمهورية المبكيا الروسية، ومن الجنوب جمهوريتي أذربيجان وجورجيا. وكلمة داغستان تعني بلاد الجبال[١] [٢].

فالجبال تشكل ما مجموعه ٧٥٪ من مساحة البلاد، حيث تنحدر تلك الجبال بشكل حاد باتجاه ساحل بحر قزوين شرقاً تاركة سهلاً خصباً، وتنحدر من هذه الجبال أنهار وروافد أهمها نهر الترك ونهر صولاق ونهر سومار، ونظراً لشدة انحدار هذه الأنهار فإنها تُستغل في توليد الطاقة الكهربائية[٣]. أهم مدن داغستان العاصمة محاج قلعة، وهي ميناء هام على بحر قزوين، ثم تأتي من حيث الأهمية مدينة در بند، وتعني باب الأبواب، وأهلها يتحدثون اللغة الأذرية، وتقع على الساحل الجنوبي حيث تبعد ١٧٠كم عن العاصمة وهي ذات موقع استراتيجي ومركز تجاري وصناعي. وتأتي ثالثاً مدينة قزوين التي تقع في منتصف المسافة بين العاصمة ودر بند[٤].

(١) انظر: د/ محمد محمود السرياني "الوجيز في جغرافيا العالم الإسلامي " ص٣٣٩ ، ط(١) دار عالم الكتب. الرياض، ١٤١٧هـ(١٩٩٧م). وانظر: "الموسوعة العربية العالمية" ١٠/ ٢٢٩ .

(٢) انظر: خريطة رقم (٢): جمهورية داغستان. الحدود والتضاريس وأهم المدن ص٣٤ .
خريطة رقم (٣): جمهورية داغستان. الموقع الجغرافي ص٣٥ .
خريطة رقم (٤): جمهورية داغستان. الموقع في روسيا الاتحادية ص٣٥ .

(٣) انظر: مصطفى محمد الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز وبلاد ما وراء النهر "ص١٦٣ ، ط(١) المركز العالمي للكتاب الإسلامي. الكويت، ١٩٩٥م.

(٤) انظر: مصطفى الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز وبلاد ما وراء النهر" ص١٦٣ .

خريطة رقم (٢):

جمهورية داغستان. الحدود وأهم المدن والتضاريس الطبيعية[١].

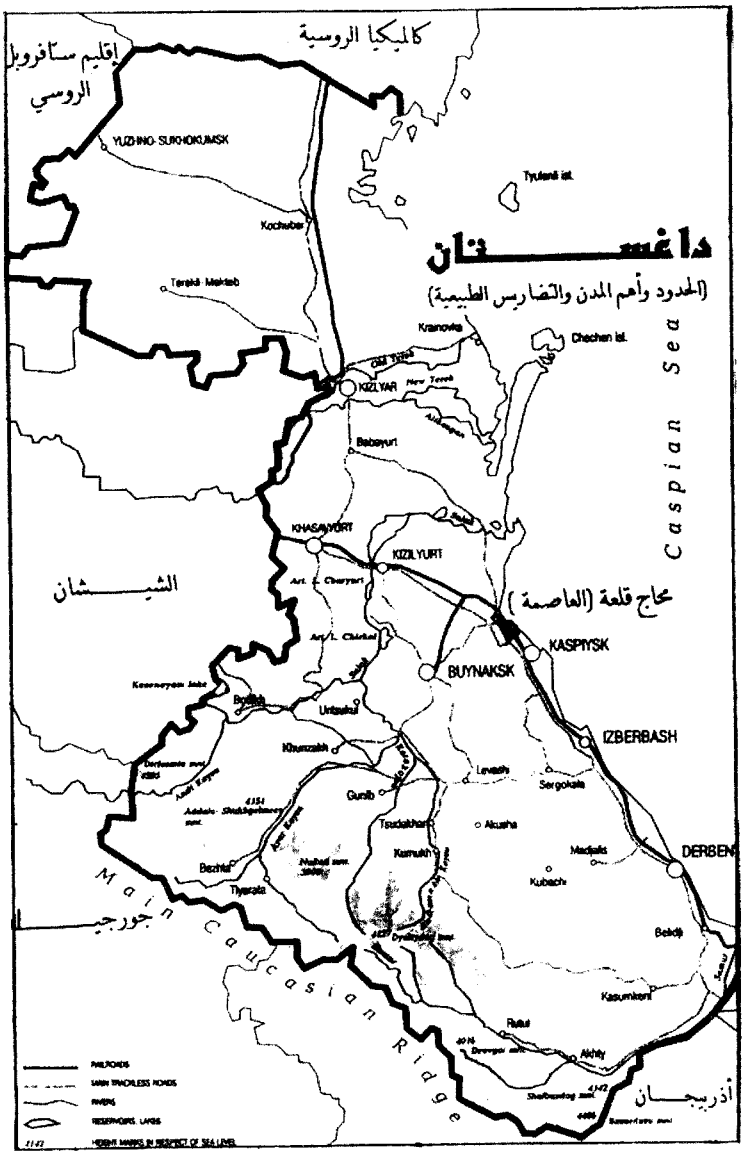

(١) المصدر: وزارة الاقتصاد بجمهورية داغستان "daghestan" صفحة الغلاف الخلفي. بتصرف. مترجم عن الإنجليزية.

خريطة رقم (٣)

الموقع الجغرافي لجمهورية داغستان[١].

(١) المصدر: وزارة الاقتصاد بجمهورية داغستان «Daghestan» ص ٩. بتصرف.

خريطة رقم (٤)

موقع جمهورية داغستان في روسيا الاتحادية[١].

(١) المصدر: الإنترنت. بتصرف. موقع. www.Caspiahnety-dg-map.GiF

● **عدد السكان وأهم القوميات:**

قدر عدد سكان داغستان بحوالي ٢,٣ مليون نسمة[١]. في حين كان عدد السكان عام ١٤٠٩هـ(١٩٨٩م) يبلغ ١٨٨ و ٨٠٢ و ١ نسمة طبقاً لإحصاء سكان الاتحاد السوفييتي الرسمي[٢].

ويعيش على أرض داغستان كثير من القوميات العرقية حيث يزيد عددها عن ثلاثين قومية، من أهمها الأوار حيث تشكل ما يقرب من ربع السكان، ثم الدارغين ١٤,٥ ٪، ثم القوموق ثم الروس وبعدهم الملاك والطبسران وغيرهم[٣].

إن كل عرق من تلك الأعراق يتحدث لغته الخاصة وله ثقافته وتراثه وموقعه الجغرافي، لهذا كانت إذاعة وتلفاز جمهورية داغستان تبث إذاعتها بلغات محلية عدة، كما أن الصحافة المحلية تصدر بلغات محلية عدة[٤]. ولم يجمع تلك القوميات جميعاً سوى الإسلام الذي وحد وألف بين قلوبهم، وصفوفهم في مواجهة الغزاة.

بلغ عدد الداغستانيين في الشتات (خارج الوطن) ٦٢٨,٠٠٠ عام ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م)[٥] وذلك نتيجة الظروف القاهرة التي مرت بها المنطقة، لاسيما في العهد القيصري.

ثم العهد الشيوعي حيث نفى ستالين[٦] شعوباً كاملة إلى سيبيريا وغيرها فمات كثير

---

(١) انظر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي" ١٤/ ٣١٩.

(٢) انظر: الإنترنت، موقع: www.caspain netldagionto.htm بتاريخ شهر صفر ١٤٢١هـ (٥/ ٢٠٠٠م).

(٣) انظر: د/ محمود أبو العلا "المسلمون في الاتحاد السوفييتي. سابقاً. دراسة اجتماعية. اقتصادية. سياسية" ط(١) مكتبة الانجلو. القاهرة، ١٩٩٣م. "ص١٠٢. وانظر: الإنترنت، موقع: www.caspain netldagionto.htm.

(٤) سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً في: الفصل الأول: أحوال المسلمين في شمال شرق القوقاز بعد تفكك الاتحاد السوفييتي.

(٥) انظر: الإنترنت، موقع: www.caspainnetldagionto.htm.

(٦) ستالين: جوزيف ستالين زعيم شيوعي ودكتاتور روسي، كان رئيس اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية من عام ١٩٢٩م إلى ١٩٥٣م. اسمه الحقيقي إيوسيف فيساريو نوفيتش، ولد عام ١٨٧٩م في قرية جوري في جورجيا بالقوقاز، واشتق اسم ستالين عام ١٩١٣م (أي الرجل الفولاذي) حكم ستالين حكماً دكتاتورياً، وأعدم أو سجن معظم الذين ساعدوه. =

منهم في الطريق[١]. وقد عاد كثير من الداغستانيين إلى وطنهم في السنوات العشر الأخيرة[٢].

= انظر: "الموسوعة العربية العالمية" ١٢/ ١٥٢ . وانظر: "الموسوعة العربية الميسرة" ١/ ٩٦٢ .

(١) انظر تفصيل ذلك في: روبرت كونكوست "قتلة الأمم. النفي السوفياتي للأمم أثناء الحرب العالمية الثانية "ص٣١ وما بعدها. ترجمة: صادق إبراهيم عودة، ط(١) الشركة الدولية، عمان. الأردن، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).

(٢) ذكره بعض من التقاهم الباحث من الداغستانيين.

ثالثاً: التعريف بجمهورية الشيشان:

● *الموقع والحدود والتضاريس:*

تقع جمهورية الشيشان على السفح الشمالي لسلسة جبال القوقاز يحدها من الشرق جمهورية داغستان ومن الغرب جمهورية أنغوشيا، ويحدها من الشمال جمهورية داغستان وإقليم ستافروبل الروسي، ومن الجنوب جورجيا، وتبلغ مساحتها ١٣ ألف كم٢. ولهذا الموقع أهمية كبيرة، فهي تقع في النقطة المركزية من شمال القوقاز[١]، والسيطرة عليها تعني التحكم في شمال القوقاز بأكمله، كما أن بعض أنابيب النفط الأذربيجاني تمر عبر الشيشان[٢]. ويعود أصل التسمية "الشيشان" إلى اسم قرية صغيرة تقع على نهر أرغون، وقد حصلت فيها المعركة الأولى بين سكان القوقاز الشمالي والروس عام ١٧٢٢م[٣].

وبلاد الشيشان جبلية جنوباً تتألف من السلاسل الوسطى لجبال القوقاز، وهي مغطاة بالغابات الكثيفة. أما في الشمال فتنتشر السهول التي تتجاوز نهر الترك لتتصل بالسهول الروسية، وهي سهول عشبية زراعية كثيرة الأنهار دائمة الخضرة.

ومناخ جمهورية الشيشان بارد جداً شتاء حتى إن مياه الأنهار قد تتجمد فيه، وهو معتدل في بقية الفصول. والأمطار في الشيشان غزيرة وهي ربيعية صيفية[٤].

(١) انظر: مصطفى الطحان "مستقبل الإسلام في القوقاز.." ص١٧١ ، وانظر: "الموسوعة العربية العالمية" ص٣٠ ، وانظر الخريطة رقم (٥) ص٣٩ .

(٢) انظر: محمود عبد الرحمن "تاريخ القوقاز..." ص١٣٣ .

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: مصطفى زنداقي "أضواء على جمهورية الشيشان" بحث صغير مطبوع غير منشور. وقد التقى الباحث بالأستاذ مصطفى في دمشق بتاريخ ٢٨/ ٧/ ١٤١٨هـ (٢٧/ ١١/ ١٩٩٧م).

خريطة رقم (٥):

جمهورية الشيشان وجمهورية الأنغوش: الموقع والحدود[١].

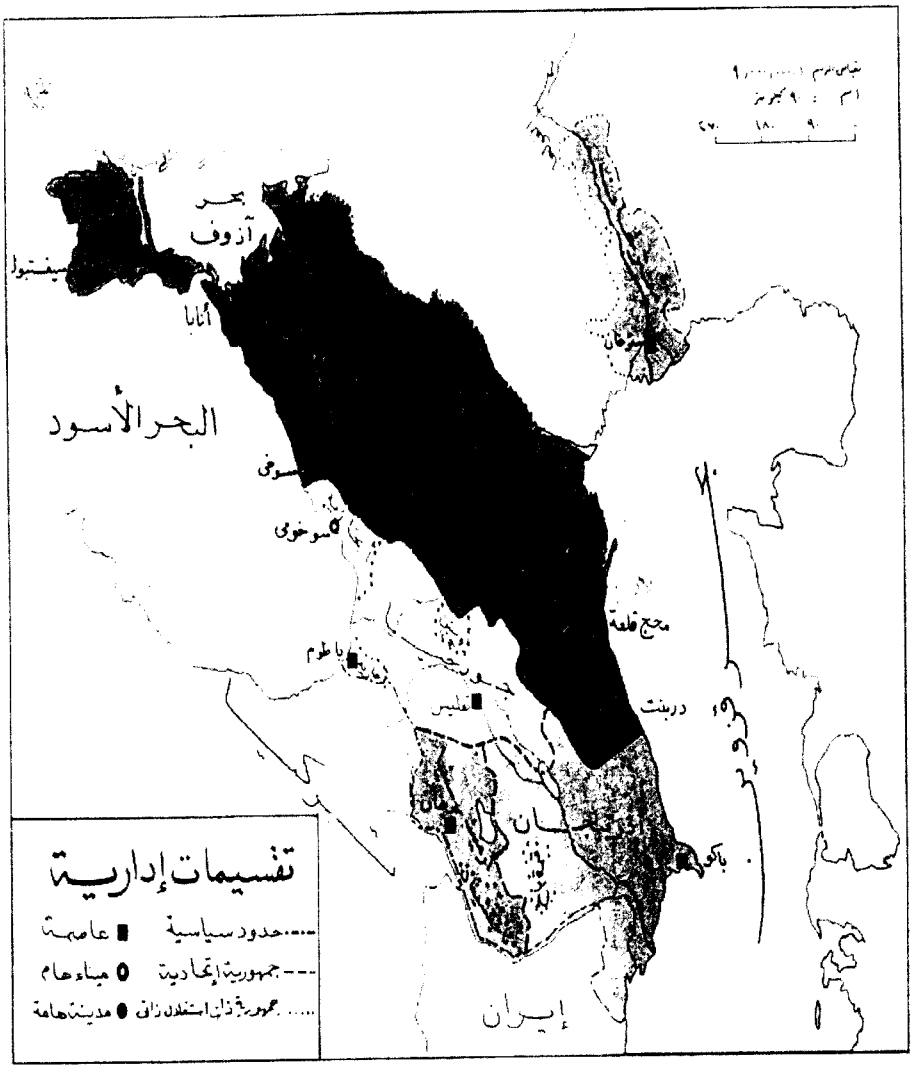

(١) المصدر: د/ دولت صادق "أطلس العالم الإسلامي "ص٧٤. بتصرف..

● أهم المدن وعدد السكان:

أهم المدن في الشيشان ثلاث هي مدينة غروزني العاصمة، (وتعني باللغة الروسية "المرعب")[١]، ومدينة غودرمس ومدينة آرغون. أما بقية التجمعات السكانية فلم تمنح وضع المدن في العهد السوفييتي مهما كبرت، وذلك لكي تبقى الشيشان في الإحصاءات جمهورية زراعية[٢].

أما عن عدد السكان فإن المصادر تختلف في تحديد عدد سكان الشيشان، غير أن جمهورية الشيشان احتفلت قبل بضع سنين لبلوغ عدد سكانها مليون نسمة[٣]. ومن المعلوم أن شعب الشيشان قد تعرض لحملات إبادة في تاريخ صراعه الطويل مع الروس أدى إلى تناقص حاد في عدد السكان.

وقد كان يعيش في الجمهورية ما يقرب من ٢٥٠ ألف من القوميات غير الشيشانية مثل الروس والأوكران[٤] والبيلاروس[٥] وغيرهم، وقد غادر غالبية هؤلاء عندما اندلعت الأحداث الدامية عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م)[٦].

---

(١) سميت بذلك نسبة إلى القيصر الروسي "إيفان" الذي سُمي بـ "إيفان المرعب" لدمويته. وإيفان هو أحد القياصرة الأوائل الذين توسعوا شرقاً وجنوباً على حساب المسلمين، وهو الذي دمر مدينة قازان. والذي بني مدينة غروزني هو القائد "يرملوف" عام ١٨١٨م بعد أن اتبع سياسة الأرض المحروقة لسحق المقاومة فبنى مدينة غروزني وجعلها قلعة يحتمي بها الروس. انظر: جون باديلي "احتلال الروس للقفقاس" ص١٤١، تعريب: صادق إبراهيم عودة، ط(١) مطبعة الأمان. عمان، ١٩٨٧م.

(٢) انظر: سليمان المقوشي "المسلمون في روسيا. معالم ورجال" ص٨. دراسة مطبوعة غير منشورة. والأستاذ سليمان هو مدير مكتب الدعوة الإسلامية في سفارة المملكة العربية السعودية في العاصمة الروسية موسكو، وقد التقاه الباحث في صيف عام ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م).

(٣) قيل للباحث ذلك عند زيارته الميدانية للعاصمة غروزني صيف عام ١٤١٩هـ (١٩٩٨م).

(٤) الأوكران: نسبة إلى أوكرانيا، وأوكرانيا قطر زراعي صناعي تعديني غني يقع في جنوب شرق أوربا، كان تابعاً للاتحاد السوفييتي السابق منذ عام ١٩٣٠ إلى ١٩٩١م حيث أعلنت أوكرانيا استقلالها.
تبلغ مساحتها ٦٠٣,٧٠٠ كم٢، وسكانها نحو ٥٢,٤٩٨,٠٠٠ نسمة، وعاصمتها كييف. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٣/ ٤١٩. وانظر: «الموسوعة العربية الموسوعة» ١/ ٢٦٨.

(٥) البيلاروس: نسبة إلى بيلاروسيا وهي روسيا البيضاء. وروسيا البيضاء هي دولة تقع شرقي أوربا، كانت منذ عام ١٩٢٢ وحتى ١٩٩١م جزءاً من الاتحاد السوفييتي السابق. كانت تعرف باسم روسيا البيضاء الاشتراكية السوفييتية. عاصمتها مينسك، ويبلغ عدد سكانها ١٠,٣٢٠,٠٠٠ نسمة. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١١/ ٣٧٨، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٤٧٢.

(٦) ذكره بعض من التقاهم الباحث. وانظر أيضاً: سليمان المقوشي «المسلمون في روسيا، معالم ورجال» ص ١٠.

رابعاً: التعريف بجمهورية الأنغوش:

● *الموقع والحدود والتضاريس:*

تقع جمهورية أنغوشيا على السفح الشمالي لسلسلة جبال القوقاز، وسط شمال القوقاز تقريباً. يحدها من الشرق جمهورية الشيشان، ومن الشمال والغرب جمهورية أوسيتيا الشمالية، ومن الجنوب جمهورية جورجيا. وتعد جمهورية الأنغوش أصغر التقسيمات الإدارية التابعة لروسيا الاتحادية والتي تبلغ ٨٩ تقسيماً إدارياً. ونظراً للنزاع الحدودي القائم بينها وبين أوسيتيا الشمالية، فإن حدود الجمهورية غير محددة من جهة الغرب، ومساحتها تنحصر بين ٢٦٨٢كم٢ و٣٥٠٠كم٢[١][٢].

مناخ الجمهورية معتدل صيفاً وبارد جداً شتاءً. يصل متوسط درجة حرارته في شهر يوليو من ٢٠ إلى ٣٠ درجة مئوية، وأما في يناير فتتراوح درجات الحرارة من ٤ إلى ٨ تحت الصفر. وفي شمال الجمهورية تصل درجة الحرارة في فصل الشتاء إلى ٢٥ تحت الصفر. وتمتاز هذه المنطقة بكثرة الأمطار حيث يصل معدل سقوط الأمطار ما بين ٧٠٠-٩٠٠ ملم[٣].

يوجد في جنوب أنغوشيا شعاب «جيراخ» المحاطة بسلسلة جبال القوقاز الكبرى. والجزء الأوسط للجمهورية عبارة عن تلال فسيحة، يرتفع أعلاها إلى ٥٠٠ متر. أما الشمال فهو سهل يقع بين سلسلتين جبليتين محدودتي الارتفاع.

ويجري في أنغوشيا أنهر سونجا وأسا وأرمافي، وكلها روافد من نهر ترك الذي يجري في الشيشان، وليس هناك مخرج لهذا النهر إلا في مكان واحد في شعب جيراخ الجبلي.

كما يوجد في أنغوشيا مصادر طبيعية عدة، منها ما يزيد عن ١٠٠ بحيرة و٢٨ غابة[٤].

---

(١) انظر: سليمان المقوشي «المسلمون في روسيا. معالم ورجال» ص ٢٨، وانظر: اسكندياروف «أنغوشيتيا» ص ٣ دراسة موجزة صادرة عن مؤسسة تنمية الشعوب المسلمة ـ موسكو بتاريخ ١٨/ ١١/ ١٤١٥هـ (١٨/ ٤/ ١٩٩٥م) ـ مترجم عن الروسية.

(٢) انظر الخريطة رقم (٥) ص ٣٩.

(٣) انظر: سليمان المقوشي «المسلمون في روسيا. معالم ورجال» ص ٢٨.

(٤) انظر: سليمان المقوشي «المسلمون في روسيا. معالم ورجال» ص ٢٨، ٢٩.

● عدد السكان وأهم المدن:

بلغ عدد سكان الجمهورية عام ١٤١٧هـ (١٩٩٦م) ـ دون حساب اللاجئين الشيشان ـ ما مجموعه ٣٠١,٩ ألف نسمة. منها ١٢٤,٨ ألف نسمة من سكان المدن ـ أي ما نسبته ٤١,٣٪ ـ ومنها ١٧٧,١ ألف نسمة من سكان الأرياف. ويبلغ متوسط الكثافة السكانية في الجمهورية ١٠٤ نسمة لكل كم٢، وهو أعلى المعدلات في روسيا عموماً التي يبلغ فيها متوسط هذا المعدل ٨,٦ نسمة لكل كم٢.

إن أعداد المسلمين الأنغوش في ازدياد مطرد، فقد ازداد عددهم خلال عشر سنوات (من ١٤٠٩ إلى ١٤١٩هـ) ما يقرب من ١٠٠ ألف نسمة، وذلك بسبب نسبة الولادة العالية وعودة السكان المهجرين[١].

العاصمة المؤقتة لجمهورية أنغوشيا مدينة نزران، وقد اتخذ قرار بإنشاء عاصمة جديدة تسمى «مغاس» على بعد خمسة كيلومترات من العاصمة المؤقتة. وطبقاً للمرسوم الصادر عن الحكومة المحلية بتاريخ ٢٨/ ٢/ ١٤١٤هـ (٨/ ٢/ ١٩٩٤م) فإن في الجمهورية أربع مناطق ذات نواحي مأهولة تابعة لها تترأسها إدارات إقليمية ومحلية وهي مناطق: نزران، ومركزها: مدينة نزران، وتضم في كيانها ١١ وحدة إدارية.

مالغوبيك، ومركزها: مدينة مالغوبيك، وتضم ١١ وحدة إدارية.

سونجان، ومركزها: بلدة أرجونكيدزه، وتضم ١٢ وحدة إدارية.

جيراخ ومركزها: قرية جيراخ، وتضم ٤ وحدات إدارية[٢].

(١) المرجع السابق ص ٣٠.

(٢) انظر: اسكنديروف «أنغوشيتا» ص ٦.

المبحث الثاني:

دخول الإسلام واستقراره في جمهوريات شمال شرق القوقاز.

ويشتمل على العناوين التالية:

واقع القوقاز قبل الفتح الإسلامي.

عهد مبكر للإسلام في القوقاز.

العهد الأموي واستقرار الإسلام في المنطقة.

ضعف الحكم الإسلامي بعد العهد الأموي.

المغول يعيثون الفساد في القوقاز.

دولة الجيش الذهبي المغولية تنشر الإسلام.

واقع القوقاز قبل الفتح الإسلامي:

نستطيع القول إن بلاد القوقاز كان تخضع في مجملها لنفوذ ثلاث دول إبان الفتح الإسلامي، ففي جنوب الإقليم كان نفوذ الدولة الساسانية الفارسية[١]، وفي شماله دولة الخزر[٢]، وتسيطر دولة الروم البيزنطية[٣] على جزء من شمال غرب الإقليم[٤]. والخريطة التالية تبين إقليم القوقاز والدول المسيطرة عليه قبل الفتح الإسلامي.

(١) الدولة الساسانية الفارسية: آخر دولة وطنية حكمت فارس. يمتد حكمها من سقوط مملكة البارثيين ٢٢٦م إلى فتح العرب فارس ٦٤٠م. يرجع الاسم إلى ساسان أحد أسلاف أردشير الأول مؤسس الأسرة. حفل تاريخ الساسانيين منذ البداية بالحروب مع دولة الروم. كان آخر ملوك الدولة يزدجرد الثالث، وفي عهده فتح العرب المسلمون فارس. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٣/ ٤٧١. وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٩٤٣.

(٢) دولة الخزر: نسبة إلى شعب الخزر، والخزر الذين سمى العرب بحر قزوين باسمهم تقع دولتهم بين نهري الفولغا والدون، وقد كانت قائمة في القرن السابع للميلاد، وإن كان منشؤهم وهويتهم القومية غير واضح بشكل قاطع لأن هذه الدولة لم تخلف آثاراً ثابتة تشير إلى حضارتها، إلا أن ملكهم ياسف (ق٧م) كان يهودياً كانوا مجوساً ثم اعتنق كثير منهم اليهودية، كما كانت الحرية الدينية سمة تمتاز بها دولة الخزر ارتبطت دولة الخزر بعلاقات جيدة مع البيزنطيين إلا أن الحال لم يكن كذلك مع الفرس أو الروس السلاف فقد كانوا في صراع ومناوشات مستمرة. انظر: «موسوعة تاريخ القفقاس والجركس» ١/ ٢٣٩ــــ٢٤٢.

(٣) الدولة البيزنطية: نسبة إلى بيزنطة وهي مدينة قديمة تقوم استنبول اليوم على موقعها. أسسها الإغريق عام ٦٥٨ قبل الميلاد، وغدت سريعاً مركزاً تجارياً هاماً بسبب موقعها على البسفور. استولى الرومان عليها عام ١٩٦م واختارها قسطنطين الأول عام ٣٣٠ موقعاً للقسطنطينية التي أصبحت فيما بعد عاصمة الإمبراطورية البيزنطية. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٢/ ٦٨٤. وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٤٦٦.

(٤) انظر: د. حسين مؤنس «أطلس تاريخ الإسلام» ط (١) الزهراء للإعلام العربي ـ القاهرة، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).

خريطة رقم (٦):

إقليم القوقاز والدول المسيطرة عليه قبل الفتح الإسلامي[١].

(١) المصدر: د. حسين مؤنس «أطلس تاريخ الإسلام» ص ٤٧ ـ بتصرف ـ.

عهد مبكر للإسلام في القوقاز:

وصل المسلمون إلى بلاد القوقاز في عهد مبكر، وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١] عام ٢٢هـ، فبعد أن فتح سراقة بن عمرو[٢] رضي الله عنه أذربيجان[٣] تابع فتوحاته لنشر الإسلام حيث توجه إلى باب الأبواب[٤] فكانت المواجهة الأولى مع دولة الخزر.

وكان على باب الأبواب «شهربراز» ملك أرمينية، الذي طلب من سراقة الأمان فأمنه. يقول الحافظ ابن كثير[٥] رحمه الله تعالى: «ثم بعث سراقة بكيراً وحبيب بن مسلمة[٦]،

---

(١) عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هو الخليفة الراشد والإمام العادل عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أمير المؤمنين أبو حفص، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة. أسلم بعد ٤٠ رجلاً و١١ امرأة، فكان إسلامه عزاً ظهر به الإسلام. حدثت في عهده الفتوحات. قتله أبو لؤلؤة المجوسي عام ٢٣هـ. انظر: يوسف بن عبد الله القرطبي «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ٣/ ٢٣٥، ط (١) دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٥هـ (١٩٩٥م). وانظر: «الأعلام» ٥/ ٤٥.

(٢) سراقة بن عمرو رضي الله عنه: ذكروه في الصحابة ولم ينسبوه، وسراقة بن عمرو هو الذي صالح أهل أرمينية والأرمن على الباب، وكتب إلى عمر بذلك، ومات سراقة هناك واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة، فأقره عمر على عمله. وكان سراقة يدعى ذا النورين. انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ٢/ ١٤٧. وانظر: «الأعلام» ٣/ ٨٠.

(٣) أذربيجان: دولة إسلامية تقع في منطقة جبال القوقاز على الشاطىء الغربي لبحر قزوين، وقد حصلت على الاستقلال عام ١٤١٢هـ (١٩٩١م) بعد أن استمرت ما يقرب من سبعين عاماً جزءاً من الاتحاد السوفييتي السابق. تبلغ مساحتها نحو ٨٦,٦٠٠ كم٢، وسكانها نحو من ٧,٥٠٧,٠٠٠ نسمة (١٩٩٦م). انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١/ ٤٣٠. وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ١٠٧.

(٤) باب الأبواب: هي مدينة دربند حالياً، وتقع جنوب داغستان على شاطىء بحر قزوين.

(٥) ابن كثير ـ رحمه الله ـ هو الحافظ المحدث إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدمشقي الشافعي، بدر الدين أبو الفداء. ولد عام ٧٥٩هـ، وأخذ العلم في دمشق ثم رحل إلى القاهرة فأخذ عن علمائها. توفي بدمشق عام ٨٠٣هـ، وله مؤلفات نافعة. انظر: «معجم المؤلفين» ٣/ ١٣٤، وانظر: «الأعلام» ١/ ٣٢٠.

(٦) حبيب بن مسلمة رضي الله عنه: ويقال له حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر القرشي، يكنى أبا عبد الرحمن، وحبيب الروم، لكثرة دخوله إليهم ونيله منهم. قال الزبير بن بكار: وحبيب بن مسلمة كان شريفاً وكان قد سمع من النبي ﷺ قال: ولاه عمر بن الخطاب أعمال الجزيرة، ثم ضم إليه أرمينية وأذربيجان ثم عزله. وسيره معاوية إلى أرمينية والياً عليها، فمات بها سنة اثنين وأربعين.
انظر: القرطبي «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ١/ ٣٨١. وانظر: ابن الأثير «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ١/ ٦٨١.

وحذيفة بن أسيد[١]، وسلمان بن ربيعة[٢] إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية جبال اللان وتفليس[٣] وموقان، فافتتح بكير موقان، وكتب لهم كتاب أمان.. فلما بلغ عمر ذلك أقره على ذلك[٤]».

ثم دخل في الإسلام جميع بلاد شروان وجزء من الداغستان. وتعد قومية القوموق في بلاد الداغستان أول من قبل الإسلام، وبذلوا الكثير في سبيل نشره، وقد تأسست في بلادهم إمارة طارقي الشامية (وتسمى اليوم بنزوفسك). ثم امتد الإسلام إلى غرب القوقاز، ثم إلى نهر كوبا الأعلى وكان أمراء الأرمن قد دخلوا في الإسلام، وتبعهم الشعب، ولكنهم عادوا فارتدوا عندما ضعفت الحكومة الإسلامية هناك[٥].

سيّر معاوية بن أبي سفيان[٦] أمير الشام ـ ﷺ ـ بأمر الخليفة.....

(١) حذيفة بن أسيد ﷺ: حذيفة بن أسيد بن خالد أبو سريحة الغفاري. بايع تحت الشجرة، ونزل الكوفة وتوفي بها، روى عنه أبو الطفيل، والشعبي، والربيع بن عميلة، وحبيب بن حماز، وهو بكنيته أشهر. انظر: ابن الأثير «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ١/ ٧٠٣.

(٢) سلمان بن ربيعة ﷺ: هو سلمان بن ربيعة بن يزيد بن أبو عبد الله الباهلي. أدرك النبي ﷺ، وليس له صحبة، وهو أول من قضى بالكوفة، ثم قضى بالمدائن، وشهد فتوح الشام مع أبي أمامة الباهلي، واستقضاه عمر على الكوفة، وكان يلي خيلاً كثيرة معدة للجهاد، فكان سلمان يتولى تلك الخيل بالكوفة. وغزا سلمان أذربيجان ثم بلنجر في أقاصي أران والخزر، وقتل ببلنجر سنة ٢٨هـ في خلافة عثمان. انظر: ابن الأثير «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ٢/ ٥٠٨. وانظر: القرطبي «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ٢/ ١٩٣.

(٣) تفليس: وتسمى أيضاً تبليس، وهي عاصمة جمهورية جورجيا حالياً الواقعة وسط القوقاز. انظر «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٥٣٧.

(٤) الحافظ إسماعيل بن كثير «البداية والنهاية» ١٠/ ١٥٥ـ١٥٦ من: د. عبد الله التركي، ط (١) دار هجر ـ مصر، ١٤١٨هـ (١٩٩٨م).

(٥) انظر: الحافظ محمد بن جرير الطبري «تاريخ الأمم والملوك» ٥/ ١٤٤ وما بعدها ط (١) دار الفكر ـ بيروت، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م). وانظر: مصطفى الطجان «مستقبل الإسلام في القوقاز» ص ١٩.

(٦) معاوية بن أبي سفيان ﷺ: اسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة، يكنى أبا عبد الرحمن، كان هو وأبوه وأخوه من مسلمة الفتح. وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ وولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد. قال أبو عمر: كان معاوية أميراً بالشام نحو عشرين سنة، وخليفة مثل ذلك، توفي في النصف من رجب سنة ستين بدمشق، ودفن بها، وهو ابن ثمان وسبعين. انظر: القرطبي «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ٣/ ٤٧٠، وانظر: ابن الأثير «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ٥/ ٢٠١.

عثمان بن عفان[١] ـ رضي الله عنه ـ حبيب بن مسلمة حيث استمر حبيب في فتوحه حتى وصل إلى تفليس من جهة الغرب، ثم توقفت الفتوح وتقلص انتشار الإسلام بسبب الخلافات الداخلية التي وقعت في بلاد المسلمين والتي حركها عبد الله بن سبأ اليهودي[٢] [٣].

(١) عثمان بن عفان رضي الله عنه: هو الخليفة الراشد عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، أبا عبد الله وأبا عمرو. ولد في السنة السادسة بعد الفيل. زوجه رسول الله ﷺ ابنتيه رقية ثم أم كلثوم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى. قُتل بالمدينة يوم الجمعة ١٨ من ذي الحجة عام ٣٥هـ. انظر: القرطبي «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ٣/ ١٥٥، وانظر «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ٣/ ٥٧٨.

(٢) عبد الله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية. وكانت تقول بألوهية علي. أصله من اليمن، قيل: كان يهودياً وأظهر الإسلام. جهر ببدعته في مصر. ونقل ابن عساكر عن الصادق: لما بويع علي قام إليه ابن سبأ فقال له: أنت خلقت الأرض وبسطت الرزق! فنفاه إلى ساباط المدائن، حيث القرامطة وغلاة الشيعة. هلك عام ٤٠هـ (٦٦٠م). انظر «الأعلام» ٤/ ٨٨.

(٣) انظر: ابن جرير الطبري «تاريخ الأمم والملوك» ٥/ ٣٠٨-٣١١. وانظر: عوني جدوع العبيدي «بطولات من أرض القفقاس» ص ١٦، ١٧. ط (١) دار النفائس، عمان ١٤١٤هـ (١٩٩٤م).

العهد الأموي واستقرار الإسلام في المنطقة:

تميزت سنوات الفتح الأولى بعدم الاستقرار في القوقاز فقد انتفض سكان تلك الأصقاع مرات عدة يساعدهم في ذلك أوضاع المسلمين غير المستقرة وخلافاتهم، وطبيعة البلاد الجبلية، وعدم رسوخ الإيمان في نفوسهم لحداثة عهدهم بالإسلام.

فبعد الفتن التي حلت بالمسلمين بعد مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ لم تسر الجيوش للفتح ثانية في القوقاز إلا أثناء الفتوحات الكبرى أيام الوليد بن عبد الملك[١] حيث دخل جيش المسلمين بلاد الخزر عن طريق أرمينية بإمرة ثبيت النهراني، فاجتمعت عليه الخزر وساعدهم عليه القفجاق والترك فانهزم المسلمون شر هزيمة. فعزل يزيد بن عبد الملك[٢] ثبيت النهراني، وولى بدلاً عنه الجراح بن عبد الله الحكمي[٣]، وأمده بجيش كثيف، وأمره بغزو بلاد الخزر، الذين حشدوا له الحشود، ودخل مدينة باب الأبواب بغير قتال، وصالح الترك على ما يؤدونه، وكان الجراح من أعظم الولاة فتحاً وأثراً في تلك البلاد، ودخل الناس في الإسلام أفواجاً في عهد ولايته.

---

(١) الوليد بن عبد الملك: الخليفة، أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، الدمشقي الذي أنشأ جامع بني أمية. كان قليل العلم، نهمته في البناء، فتح بوابة الأندلس، وبلاد الترك، وغزا الروم مرات في دولة أبيه وحج. مات في جمادى الآخرة سنة ستة وتسعين، وله إحدى وخمسون سنة، وكان في الخلافة عشر سنين سوى أربعة أشهر. انظر: الذهبي «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٣٤٧. وانظر: الزركلي «الأعلام» ٢/ ١١٥.

(٢) يزيد بن عبد الملك: الخليفة أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي، استخلف بعهد عهده له أخوه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز. ولد سنة إحدى وسبعين، وكان لا يصلح للإمامة، مصروف الهمة إلى اللهو والغواني. مات بسواد الأردن عام ١٠٥هـ، وكانت دولته أربعة أعوام وشهراً. انظر: الذهبي «سير أعلام النبلاء» ٥/ ١٥٠. وانظر: الزركلي «الأعلام» ٨/ ١٨٥.

(٣) الجراح بن عبد الله الحكمي: مقدم الجيوش، فارس الكتائب، أبو عقبة الجراح بن عبد الله الحكمي، ولي البصرة من جهة الحجاج، ثم ولي خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وكان بطلاً شجاعاً، كبير القدر، روى عن ابن سيرين، وعنه صفوان بن عمرو، ويحيى بن عطية، وربيعة بن فضالة. وقال أبو سفيان الحميري: كان الجراح على أرمينيا وكان رجلاً صالحاً فقتله الخزر، ففزع الناس لقتله في البلدان. انظر: الذهبي «سير أعلام النبلاء» ٥/ ١٨٩. وانظر: الزركلي «الأعلام» ٢/ ١١٥.

وفي عام ١١٤هـ ولي هشام بن محمد على هذه الولاية، فانتصر على الخزر وصالحهم، ودانت له جميع البلاد. وهكذا لم تنته الدولة الأموية إلا وقد استقر الحكم الإسلامي في القوقاز بعد أن انتفض سكانها مرات ومرات يساعدهم في ذلك أوضاع المسلمين وخلافاتهم وطبيعة البلاد الجبلية، وعدم رسوخ الإيمان الصحيح في نفوسهم إذ كانوا حديثي عهد بالإسلام[1].

(١) انظر: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» ٧/ ١٣٥ وما بعدها (حوادث سنة ١١٠) ق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. ط دار الكتب العلمية، بيروت، لم تذكر سنة الطبع.

ضعف الحكم الإسلامي بعد العهد الأموي:

سار العباسيون على النهج الأموي في سياستهم نحو إقليم الرحاب حيث الثغور الشمالية، ففي عهد أبي جعفر المنصور[١]، تولى منطقة الثغور الشمالية يزيد بن أسيد السلمي، فكانت له جهود في اتساع حدود رقعة الإسلام نحو الشمال وطبق سياسة توطين المسلمين بهذه البلاد.

وفي عهد الخليفة المأمون[٢] وطد محمد بن عتاب سلطان الدولة في أرمينيا. غير أن ضعف الدولة العباسية بعد عصر الخلفاء الأقوياء أدى إلى طمع الولاة، فاقتطع إسحاق بن إسماعيل ولاية له في بلاد الكرج (جورجيا) وظلت تحت حكمه من سنة ٢١٥ إلى ٢٣٨هـ. وفي عهد الخليفة المتوكل العباسي[٣]، أرسل قائده بغا الكبير إلى أرمينيا وهزم إسحاق بن إسماعيل في معركة تفليس سنة ٢٣٨هـ، وخرب المدينة، وكان تخريبها غلطة من بغا الكبير[٤].

---

(١) أبو جعفر المنصور: الخليفة، أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور، ولد في سنة خمس وتسعين أو نحوها. كان فحل بني العباس هيبة وشجاعة، ورأياً وحزماً وكان جماعاً للمال، حريصاً، تاركاً اللهو واللعب، كامل العقل، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم، أباد جماعة كباراً حتى توطد له الملك، ودانت له الأمم على ظلم فيه وقوة نفس ولكنه يرجع إلى صحة إسلام وتدين في الجملة، وتصوف وصلاة وخير، مع فصاحة وبلاغة وجلالة. وكان حاكماً على ممالك الإسلام بأسرها، سوى جزيرة الأندلس، عاش ٦٤ سنة وتوفي عام ١٥٨هـ بمكة المكرمة. انظر: الذهبي «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٨٣.

(٢) المأمون: هو الخليفة أبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور العباسي، ولد سنة سبعين وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل وأمر بتعريب كتبهم، وبالغ. وعمل الرصد ـ أي الفلك ـ فوق جبل دمشق ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ، نسأل الله السلامة. مات في رجب، سنة ثمان عشرة ومئتين، وله ثمان وأربعون سنة. انظر: الذهبي «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٢٧٢، وانظر: محمد بن خلكان «وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان» ٦/ ١٤٧، ق. د. إحسان عباس، ط دار صادر ـ بيروت، ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م).

(٣) المتوكل العباسي: الخليفة، أبو الفضل، جعفر بن المعتصم بالله، محمد بن الرشيد، القرشي العباسي البغدادي، ولد سنة خمس ومئتين، وبويع عند موت أخيه، الواثق في ذي الحجة، سنة اثنتين وثلاثين، قال خليفة بن خياط: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها. مات مقتولاً سنة ٢٤٧هـ. انظر: الذهبي «سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٣٠. وانظر: الزركلي «الأعلام» ٢/ ١٢٧.

(٤) انظر: الحافظ ابن كثير «البداية والنهاية» ١٤/ ٣٥٣ وما بعدها. وانظر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية «الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي» ١٤/ ٢٨٩ـ٢٩٠.

بعد الأحداث السابقة انتشرت الفوضى في الثغور الشمالية ـ أي في بلاد القوقاز ـ ففي أذربيجان ظهرت أول أسرة حاكمة وهي الأسرة «الساجية» قبضت على الأمور مع خضوعها لبغداد اسمياً في الفترة من ٢٧٩ إلى ٣٢٠هـ، وحكمت أسر محلية نصرانية بلاد الكرج عندما اشتدت الحروب الصليبية، واتجه المسلمون لمحاربة الصليبيين.

ثم ظهر السلاجقة[١] وأخذ نفوذهم يتجه نحو الكرج، فأغاروا عليها واستعادوا الحكم الإسلامي على الكرج وما حولها عام ٤٧٢هـ، ولكن النصارى المحليين عادوا إلى حكم البلاد. وظل الحال هكذا في صراع بين نصارى الكرج والمسلمين حتى الغزو المغولي[٢].

(١) السلاجقة: تنسب إلى سلجوق أميرهم الأول. ظهر السلاجقة في إيران في القرن ١٠م، واعتنقوا الإسلام على المذهب السني، ولم يلبثوا أن سيطروا على خوارزم وإيران، واتخذوا أصفهان عاصمة لهم. تمكن السلاجقة بزعامة ألب أرسلان من فتح بلاد الكرج وأرمينيا وغيرها، واكتسحوا الشام وهزموا البيزنطيين في معركة ملاذكرد عام ١٠٧١م. اكتسح جنكيزخان دول السلاجقة بعد أن تفرقت في القرن ١٣م. انظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٩٩٣.

(٢) انظر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية «الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي» ١٤/ ٢٩٠.

المغول يعيثون الفساد في القوقاز:

ظهرت حركة المغول في أقصى الشرق بآسيا في أوائل القرن السابع الهجري بزعامة جنكيزخان[١] وخلفائه، فاجتاحت جموعهم الصين وآسيا الوسطى، وأملاك الإمبراطورية الخوارزمية، ودولة السلاجقة بآسيا الصغرى، ونفذوا إلى القوقاز وأوربا الشرقية، وروسيا وغيرها.

وحدث في الشرق الإسلامي وقتئذ من أسباب التشاحن والتخاصم والتصادم بين القوى الإسلامية، ما جعل بعض القوى تسعى إلى الحصول على تأييد المغول ومساندتهم، فاستطاع العدو بذلك أن ينفذ إلى الأراضي الإسلامية ويقهر القوى الإسلامية الواحدة بعد الأخرى[٢].

تعرضت بلاد القوقاز لما تعرض له العالم الإسلامي من أسباب الدمار على يد المغول، ففي عام ٦١٨هـ أرسل جنكيزخان حملة قوامها عشرون ألفاً من خيرة محاربيه، قدمت إلى القوقاز عن طريق تبريز العجم، وبعد احتلال جورجيا وأرمينيا وأذربيجان ونهبها دون مقاومة تذكر، توجهت الحملة إلى الداغستان والشركس ودارت رحى معركة طاحنة أكثر المغول فيها القتل والأسر ـ لاسيما في الشراكسة ـ فتفرقوا أيدي سبأ في الأقطار والأمصار، ثم ارتد المغول إلى بلادهم في الشرق الأقصى حيث كانت تلك جولة استطلاعية لاستكشاف المواقع وثروات البلاد والمقاومة التي يمكن أن تقابلهم فيها.

وقبل أن يموت جنكيزخان في عام ٦٢٣هـ ويخلفه ابنه أرسل إلى روسيا عام ٦٢٢هـ

---

(١) جنكيزخان: ملك التتار وسلطانهم الأول الذي خرب البلاد وأفنى العباد، واستولى على الممالك، وليس للتتار ذكر قبله، إنما كانت طوائف المغول بادية بأراضي الصين فقدموه عليهم، فهزم جيوش الخطا، واستولى على ممالكهم، ثم على تركستان وإقليم ما وراء النهر ثم إقليم خراسان وبلاد الجبل (أي القوقاز) وغير ذلك، وأذعنت بطاعته جميع التتار، ولم يكن يتقيد بدين الإسلام ولا بغيره، وقتل المسلم أهون عنده من قتل البرغوث، وله شجاعة مفرطة وعقل وافر ودهاء ومكر. وأول ظهوره كان في سنة تسع وتسعين وخمس مئة. ومات في رمضان سنة أربع وعشرين وست مئة. انظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٦٥٠. وانظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٨/ ٥٠٣.

(٢) د. السيد الباز العريني «المغول» التصدير: ب، ط دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م)، وانظر: محمد جمال صادق «موسوعة تاريخ القفقاس والجركس» ١/ ٢٥٢ وما بعدها.

حملة بقيادة ابن أخيه، وكانت عدة جيشه نصف مليون من الفرسان الهمج الأشداء؛ جاؤوا من شمال بحر الخزر وأعملوا السيف في البلغار القاطنين على ضفتين نهر الفولغا[١] وخربوا عاصمتهم بولغار، ثم سار المغول إلى موسكو وأحرقوها.

وفي عام ٨٤٢هـ دمروا رستوف[٢]، ثم دمروا كييف[٣] وتوغلوا غرباً؛ ثم عادوا إلى الشرق يخربون ويدمرون وينهبون ويسفكون الدماء حتى وصلوا نهر الفولغا، وعند مصبه أنشأوا بلدة سموها سراي واتخذوها عاصمة، وشكلوا لأنفسهم دولة سموها دولة الجيش الذهبي.

وكانت هذه الدولة مكونة من ثلاث خانيات:

(١) خانية قازان، وتشمل القسم الشرقي من روسيا.

(٢) خانية إستراخان، وعاصمتها بلدة سراي.

(٣) خانية القرم وهي مكونة من أخلاط من القبائل مع بقايا الخزر في شبه جزيرة القرم.

أما إمارة روسيا فكانت تدفع الجزية للخاقان المغولي الكبير مقابل تمتعهم بحريتهم الدينية وصيانة كنائسهم، ولا يمكن لأمير أن يتولى الإمارة بدون موافقة الخان، كما لا يحق له إعلان الحرب على أية جهة أخرى إلا بعد موافقة الخان[٤].

---

(١) نهر الفولغا: هو أطول نهر في أوربا يجري لمسافة ٣,٥٣٠ كم داخل أراضي روسيا الاتحادية، حيث يصب في بحر قزوين. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١٧/ ٦١٥، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ٢/ ١٣٣٧.

(٢) رستوف: هي مدينة من أهم المدن الروسية وتقع على نهر الدون، وتعتبر المدينة بمثابة بوابة الدخول إلى سلسلة جبال القوقاز. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١١/ ٢٠٥، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٨٩٣.

(٣) كييف: هي عاصمة أوكرانيا، وأكبر مدنها تقع في شمالي وسط أوكرانيا، وتعتبر واحدة من أكبر مراكز المواصلات والصناعة، وتعد المدينة ميناءً نهرياً وملتقى طرق خطوط السكة الحديدية. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٢٠/ ٤٠٩، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ٢/ ١٥٣٣.

(٤) انظر: محمد جمال صادق «موسوعة تاريخ القفقاس والجركس» ١/ ٢٥٤.

دولة الجيش الذهبي المغولية تنشر الإسلام:

لما انقسمت دولتهم بعد موت جنكيزخان، كان القسم الغربي من الإمبراطورية من نصيب جوجي خان الذي تزوج من مسلمة هي بنت خوارزم شاه. وأصبح فيما بعد لجوجي خان حفيد كان له شأن بالغ في نشر دعوة الإسلام في تلك الديار وهو الأمير بركة خان[١] الذي تولى العرش عام ٦٥٤هـ وقد أسس هذا الأمير المسلم ما سمي بدولة الجيش الذهبي أو دولة مغول القبيلة الذهبية التي امتد سلطانها ليبلغ مساحة شاسعة[٢]، يدين أغلب سكانها بالإسلام بفضل جهود قائدها المسلم بركة خان، حيث بذل جهوداً كبيرة في نشر دعوة الإسلام داخل دولته وخارجها[٣].

(١) بركة خان: أمير مغولي مسلم، وزعيم القبيلة الذهبية، حفيد جنكيزخان. درس القرآن الكريم في حداثة سنة، وعندما تولى الأمر أسهم في نشر الإسلام في دولته. حارب هولاكو ابن عمه وعنفه على قتله الخليفة المستعصم وعلى تخريبه مدن الإسلام. اتصل بركة بالظاهر بيبرس وكانت علاقتهما طيبة. حارب في جبهات كثيرة. توفي عام ٦٤٤هـ (١٢٦٧م) ولم يكن له عقب. انظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٣٥٠، وانظر: د. محمد علي البار «المسلمون في الاتحاد السوفييتي عبر التاريخ» ١/ ٣٠٢، ٣٠٣، ط (١) دار الشروق ـ جدة، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

(٢) انظر الخريطة رقم (٧): إمبراطورية مغول القطيع الذهبي في القرن السابع الهجري في الصفحة التالية.

(٣) انظر: محمد جمال صادق «موسوعة تاريخ القفقاس والجركس» ١/ ٢٥٤، وانظر: د. محمد علي البار «المسلمون في الاتحاد السوفييتي عبر التاريخ» ١/ ٣٠٣.

خريطة رقم (٧):

إمبراطورية مغول القطيع الذهبي في القرن السابع الهجري (١٣م)[١].

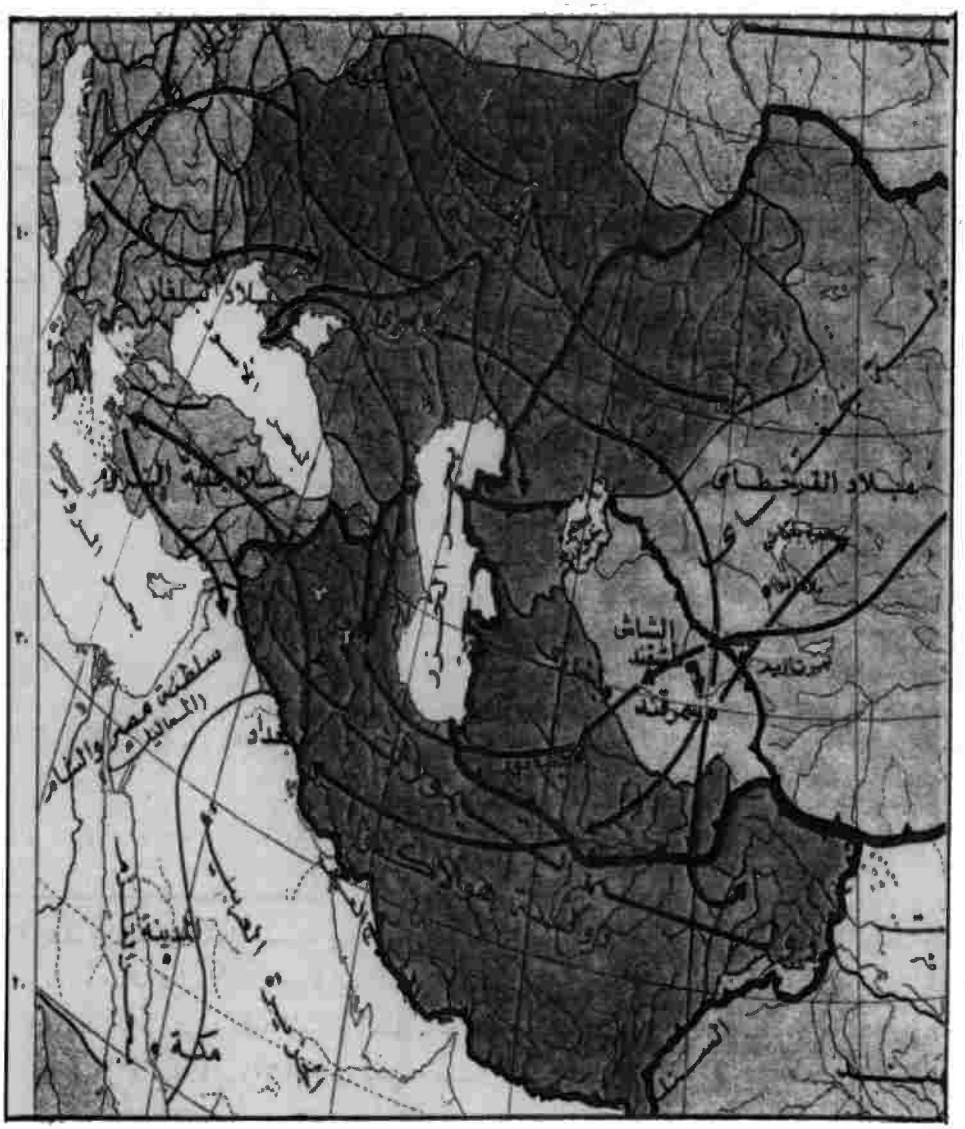

تبدو منطقة شمال القوقاز ومدينة موسكو تحت حكم مغول الجيش الذهبي حيث أسهموا في نشر الإسلام.

(١) المصدر: د. حسين مؤنس «أطلس تاريخ الإسلام» ص ٢٢٨ ـ بتصرف ـ.

بعد وفاة بركة خان، تولى الحكم ابن أخيه منكوتمر عام ٦٦٥هـ، وكانت الدولة في عهده وعهد سلفه بركة خان على علاقة طيبة مع دولة المماليك في مصر، مما كان له أكبر الأثر في انتشار الإسلام، كما أن الدولتين تحالفتا ضد أبغا بن هولاكو.

ثم جاء بعده منكوخان، وكان مسلماً متحمساً لنشر الإسلام، غير أن الأمر تغير بعد تنازله عن العرش طواعية لابن أخيه تلابغا بسبب الخلافات التي برزت بين أمراء المغول، وخلفه أمراء لم يكونوا متحمسين لنشر الدعوة الإسلامية، وقد واكب هذا ظهور الأتراك العثمانيين(١)(٢).

تولى العرش أوزبك خان سنة ٧١٣هـ، حيث كان يحكم نهر الفولغا بأكمله وشبه جزيرة القرم والقوقاز كازاخستان، ويمتد سلطانه إلى مدينة خوارزم حيث يبدأ حكم قريبه السلطان علاء الدين طرمشيرين حفيد جغتاي بن جنكيزخان، وقد اشتهر أوزبك خان بحماسه لنشر الإسلام بل كان من أشد أتباع الإسلام حماسة وصلابة، فثبت أركان الدين في البلاد التي خضعت لحكمه.

لقد وصلت حركة انتشار الإسلام إلى قمتها في عهد أوزبك خان، حيث تم انتشار الإسلام بين كافة شعوب المغول في بلاد القفجاق (القبيلة الذهبية)، ودخلت الدعوة الإسلامية إلى سيبيريا وجنوبي روسيا، وسمي عصره بالعصر الذهبي للإسلام في هذه المنطقة، ونسبت إليه قبائل الأوزبك، وصار هذا الاسم علماً على البلاد وعلى الشعب(٣).

واستمر نشاط الدعوة في عهد ابنه جلال الدين محمود الذي تولى العرش عام ٧٤٢هـ، وصارت البلاد في عهده مأوى للعلماء والفقهاء، وامتلأت العاصمة سراي بهم،

---

(١) العثمانيون: نسبة إلى عثمان الأول بن أرطغرل بن سليمان التركي، مؤسس الدولة التركية العثمانية. والدولة العثمانية دولة إسلامية (٦٩٩-١٣٤٣هـ، ١٢٩٩-١٩٢٤م) منشؤها بلاد تركستان. أسهم العثمانيون في نشر رسالة الإسلام لاسيما في المناطق التي فتحوها في أوربا، كما اهتموا ببناء المساجد والمعاهد لتعليم الإسلام والدعوة إليه. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١٦/ ١٢٤، وانظر «الموسوعة العربية الميسرة» ٢/ ١١٨٧.

(٢) انظر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية «الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي» ١٤/ ٢٩١-٢٩٣. وانظر: د. السيد الباز العريني «المغول» ص ١٩٤ وما بعدها، ط دار النهضة العربية - بيروت، ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م).

(٣) انظر: د. محمد علي البار «المسلمون في الاتحاد السوفييتي عبر التاريخ» ١/ ٣٠٣ وما بعدها. وانظر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية «الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي» ١٤/ ٢٩٤ وما بعدها.

كما حافظ على سياسة آبائه في ضرورة إخضاع روسيا لدولة الإسلام، فجاء إليه ملك روسيا ومطرانها لتجديد العهد والولاء. ولكن خلفه محمد بردي بك (٧٥٧هـ) لم يكن على مستواه، فكان ظلوماً مستبداً، فاضطربت البلاد، وانتهز الروس هذه الفرصة حيث تمكنوا لأول مرة من هزيمة جيش مغول القفجاق (القبيلة الذهبية)، أي أن روسيا ظلت خاضعة لنفوذ خانات القبيلة الذهبية قرابة قرن ونصف[١].

وبعد التمزق الذي ساد دولة مغول القبيلة الذهبية والمحاولات المتكررة لاغتصاب عرض سراي، ظهر طقتمش (توقتاميش) ابن بردي بك(٧٧٩هـ) الذي لجأ أثناء الصراع على العرش إلى تيمورلنك[٢]. فساعده ضد الروس والطامعين في العرش، واستطاع طقتمش أن يعيد الأمن للبلاد بعد استرجاعه عرش مغول القبيلة الذهبية، فنهضت الدولة مرة أخرى، ثم سار إلى روسيا ودخل موسكو في سنة ٧٨١هـ، وظهرت أطماع تيمورلنك، فغزا أذربيجان وأرمينيا وبلاد الكرج، فساءت العلاقة بين طقتمش وتيمورلنك ووقعت الحرب وانتهت بهزيمة طقتمش وقتله، وهرب أولاده إلى بلاد الروس. وخرب تيمور سراي عاصمة القبيلة الذهبية سنة ٧٩٤هـ فانتشرت الفتنة وبدأت خانية القبيلة الذهبية تتجه نحو النهاية[٣].

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية «الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي» ١٤/ ٢٩٤ وما بعدها. وكذلك: د. محمد علي البار «المسلمون في الاتحاد السوفييتي عبر التاريخ» ١/ ٨٢ـ٨٣.

(٣) انظر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية «الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي» ١٤/ ٢٩٤ وما بعدها. وكذلك: د. محمد علي البار «المسلمون في الاتحاد السوفييتي عبر التاريخ» ١/ ٨٢ـ٨٣.

المبحث الثالث:

الدعوة الإسلامية
خلال العهدين القيصري والبلشفي في شمال شرق القوقاز.

وينقسم إلى قسمين كما يلي:

أولاً: الدعوة الإسلامية خلال العهد القيصري.

ثانياً: الدعوة الإسلامية خلال العهد البلشفي (الشيوعي).

أولاً: الدعوة الإسلامية خلال العهد القيصري:

في القرن السابع الهجري (١٣م) كان للأمة الإسلامية قطبان سياسيان هما دولة المماليك[١] في مصر والشام، ومملكة المغول والتتار في أواسط آسيا والقوقاز والفولغا. وكان في ذات الوقت هناك قطبان عالميان جديدان في طور النمو والتكوين، وقد ساهما ـ كل من جانبه ـ في تقويض أركان دولتي المماليك والمغول ليشغلا الفراغ السياسي الناتج عن سقوطهما، ويبدأا صراعاً مريراً بينهما. ولم ينتصف القرن الثامن الهجري (١٤م) إلا وقد تبلور الوضع عن عالم ثنائي الأقطاب العثمانيون والقياصرة، يخوضان صراعاً دولياً ويصنعان تاريخ المنطقة السياسي لسنوات قادمة طويلة، لاسيما أن العثمانيين قد نجحوا في إسقاط مقر الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية[٢]، الأمر الذي أدى إلى إعلان موسكو الانفصال المذهبي عن الكنيسة البيزنطية في اسطنبول، وإعلان نفسها حامية للأرثوذكسية الجديدة[٣].

نستطيع تقسيم مراحل التوسع الروسي القيصري في القوقاز إلى مرحلتين: المرحلة الأولى هي مرحلة التوسع التدريجي إلى الشرق والجنوب وهي تبدأ بعد تفرق دولة الجيش الذهبي إلى خانيات (دويلات) صغيرة، واستقلال موسكوفيا (موسكو)، ثم سقوط قازان

(١) دولة المماليك: دولة إسلامية حكمت مصر ثم امتد حكمها ليشمل فلسطين وسوريا وجنوبي تركيا، ويرجع أصلهم إلى الأتراك والمغول والشراكسة الذين أحضروا إلى مصر أواخر عام ٤٩٤هـ (١١٠٠م). واقترن اسم المماليك بالمعركة الشهيرة عين جالوت عام ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) حيث ألحقوا هزيمة كبيرة بجيوش التتار. في عام ١٨١١م كانت نهايتهم على يد محمد علي والي مصر. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٢٤/ ١٤٠، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ٢/ ١٧٤٣.

(٢) الكنيسة الأرثوذكسية: هي إحدى الكنائس الرئيسة الثلاث في النصرانية، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكل نهائي عام ١٠٥٤م، وتمثلت في كنائس عدة مستقلة لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأن الروح القدس منبثقة عن الآب وحده، وعلى خلاف بينهم في طبيعة المسيح. وتدعى أرثوذكسية بمعنى مستقيمة المعتقد مقابل الكنائس الأخرى، ويتركز أتباعها في المشرق ولذا يطلق عليها الكنيسة الشرقية. انظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» ٢/ ٣٩٥، ط (٣) دار الندوة العالمية، ١٤١٨هـ. وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ٢/ ١٤٨٧.

(٣) انظر: مصطفى الطحان «مستقبل الإسلام في القوقاز وبلاد ما وراء النهر» ص ٢٧-٢٨.

ثم ضم القرم[١]، وبعدها سقوط إستراخان حيث فُتح الطريق لاحتلال القوقاز، وهيأ لظهور الإمام منصور[٢] أواخر القرن الثاني عشر الهجري (١٨م) ثم هزيمة العثمانيين في حرب القرم، وسيطرة الروس على البحر الأسود لأول مرة. وتنتهي هذه المرحلة بانتصار روسيا القيصرية على نابليون بونابرت[٣] إمبراطور الفرنسيين أوائل القرن الثالث عشر الهجري (١٩م).

هذه المرحلة تتميز بطولها الزمني ـ نسبياً ـ حيث تمتد ثلاثة قرون تقريباً من أوائل القرن العاشر الهجري (١٥م) إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري (١٩م)، أما المرحلة الثانية فهي التي أعقبت انتصار روسيا القيصرية على الفرنسيين بزعامة نابليون عام ١٢٣٠هـ (١٨١٤م) وظهورها كأقوى قوة عسكرية في أوروبا، وأعقب ذلك ظهور حركة مقاومة إسلامية صلبة في شمال شرق القوقاز سميت حركة المريدين[٤] حالت دون تحقيق أحلام القياصرة في التوسع جنوباً لاحتلال اسطنبول.

لكن الروس استطاعوا في نهاية المطاف إخضاع منطقة القوقاز لنفوذهم بعد ضريبة

---

(١) القرم: اسم لشبه جزيرة في شكل نتوء من الجزء الجنوبي لأوكرانيا في البحر الأسود وبحر أزوف، في أقصى شمال غرب القوقاز. عدد سكانها ٢,٣٠٩,٠٠٠ نسمة تقريباً، مساحتها ٢٧,٠٠٠ كم٢ كانت عاصمة لدولة تترية مسلمة، ثم هاجمها الروس في معارك متتالية أدت إلى احتلالها عام (١٧٨٣م) وتعرض المسلمون في القرم لأبشع أنواع القهر والقمع والتهجير في العهدين القيصري ثم البلشفي الشيوعي. والمسلمون الآن أقلية في بلادهم. انظر: تعريب د. إحسان حقي «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» ص ١٢٠ وما بعدها. وانظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١٨/ ١٦٧.

(٢) الإمام منصور: الإمام منصور شيشاني المولد والنشأة (على الأرجح) تلقى علومه الإسلامية في الشيشان ورحل إلى بخارى، بداية ظهوره بمدينة «الدي» الشيشانية عام ١١٩٩هـ (١٧٨٥م)، وكان ظهوره بداية حرب جديدة لم يألفها الروس من قبل، وهي حرب الجهاد التي نادى بها الإمام، وسرعان ما تجاوب معه شعوب الداغستان والشيشان والقبرطاي والنوغاي وغيرهم، واستطاع أن يلحق هزائم متكررة بالروس في القوقاز. انظر: جون باديلي «احتلال الروس للقفقاس» ص ٨٧. وانظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز..» ص ٥٦.

(٣) نابليون بونابرت: (١٧٦٩-١٨٢١م) قائد عسكري فرنسي توج نفسه إمبراطوراً لفرنسا، قد مثل أشهر عبقرية عسكرية في زمنه، بل ربما كان أشهر من تقلد رتبة لواء في التاريخ، وقد كون إمبراطورية ضمت معظم غربي أوروبا ووسطها. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٢٥/ ٩، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ٢/ ١٨١٢.

(٤) حركة المريدين: المراد بها الحركة الصوفية بطرقها المتعددة كالنقشبندية والقادرية وغيرها.

باهظة دفعوها لتحقيق ذلك. واستمرت هذه المرحلة في مجملها نحو قرن من الزمن انتهت بقيام الثورة الشيوعية البلشفية وسقوط القيصرية في موسكو.

● **أولاً: الرحلة الأولى:**

نستطيع أن نوجزها في النقاط التالية:

- استطاع أمير موسكو «فاسيلي» الضرير في الأعوام ٨٢٩-٨٦٥هـ (١٤٢٥-١٤٦٢م) أن يوحد المدن السلافية[١] المهمة وهي موسكو وكييف ويا روسلاف تحت سلطة واحدة، إلا أنه كان مايزال خاضعاً للنفوذ السياسي للمملكة التترية المسلمة في قازان.

- في عهد ابنه القيصر إيفان الثالث الذي حكم في الفترة من ٨٦٥-٩١٠هـ (١٤٦٢-١٥٠٥م) طور موسكو وضخم جيشها، فقويت شوكته وامتنع عن دفع الجزية. وعندما حاول ملك قازان أحمد شاه إخضاعه فشل، وعندها سقطت هيبة الخانات المسلمة واحدة تلو الأخرى[٢].

- حكم من بعده أخوه الأصغر إيفان الرابع الملقب «بالرهيب»[٣] فاستفاد من سياسات أخيه، وبدأ اجتياحاته الكبرى على المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز حيث هاجم مدينة قازان ـ أقوى خانات التتار ـ وأسقطها عام ٩٥٩هـ (١٥٥٢م)، وبسقوط قازان فتحت الطريق أمامهم إلى القوقاز وسيبيريا الإسلاميتين. وكانت الدولة العثمانية

---

(١) المدن السلافية: نسبة إلى شعوب العرق السلافي. والسلافيون حوالي ٢٧٥ مليون نسمة، وهم يتكلمون لغات متشابهة. ويصنف المؤرخون السلافيين في ثلاث مجموعات رئيسة هي: (١) الشرقية، (٢) الغربية، (٣) الجنوبية. السلافيون الشرقيون يتكونون من البيلوروسيين ـ أي الروس البيض ـ والروس والأوكرانيين. ولقد تأثر السلاف الشرقيون بقوة بثقافة الإمبراطورية البيزنطية. وفي عام ٩٨٨م دخل فلاديمير الأول ـ حاكم الروس في النصرانية الأرثوذكسية ونتيجة لهذا تحول معظم شعبه إلى النصرانية. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١٣/ ٢٨، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ٢/ ١١٢٦.

(٢) انظر: مصطفى الطحان «مستقبل الإسلام في القوقاز» ص ٢٧-٢٨.

(٣) إيفان الرهيب: ٩٣٧-٩٩٢هـ (١٥٣٠-١٥٨٤م): هو إيفان الرابع وهو أول قيصر لروسيا. وأبرز العباقرة الروس، توسعت روسيا في عهده توسعاً كبيراً، وجعل موسكو عاصمة لروسيا. كان إيفان ماكراً قاسياً، بل إنه قتل ابنه الأكبر بيديه. وعملت شرطته السرية على نشر الرعب في سائر أنحاء بلاده. ودعا الخبراء من دول أخرى لتحسين نوعية أعمال التقنيات العسكرية، وشرع في الدخول في علاقات دبلوماسية وتجارية مع الدول الغربية. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٣/ ٥٤٤، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٢٨٩.

مشغولة في حربها مع الدولة الصفوية[١].

- وفي عام ٩٦٤هـ (١٥٥٦م) سقطت خانات بشكيريا[٢] وإستراخان، وهي من أهم معاقل المسلمين التتار جنوب الفولغا، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه للهجوم على مملكة سيبر (سيبيريا). ولقد أظهر ملكها شجاعة نادرة واستبسل جنوده فردوا جيش الاحتلال أكثر من مرة غير أن ميزان القوى رجح كفة موسكو في نهاية المطاف[٣].

وبضم هذه الممالك التترية الثلاث أنزل الروس أهلها المسلمين منزلة الرعايا المحرومين من الحقوق، ولم يكن باستطاعة هؤلاء المغلوبين أن يتمتعوا بالمساواة مع الروس إلا إذا تركوا دينهم واعتنقوا النصرانية الأرثوذكسية[٤].

- هاجم الروس خانات القرم عام ٩٩٢هـ (١٥٨٤م) إلا أن استبسال المسلمين ودعم العثمانيين أفشل الهجوم، وانتكس الجيش الروسي مهزوماً. ومات إيفان الرابع (الرهيب) في ذلك العام.

- في الفترة الممتدة من عام ٩٩٣هـ (١٥٨٥م) إلى عام ١٠١٣هـ (١٦٠٥م) تركزت هجمات الروس للسيطرة على القوقاز، حيث هوجمت داغستان وكباردين[٥] والقرم من

---

(١) الدولة الصفوية ٩٠٦-١١٤٨هـ (١٥٠٠-١٧٣٥): ظهرت الدولة الصفوية في إيران وكان مؤسسها الشاه إسماعيل من سلالة الشيخ صفي الدين الأردبيلي، وكان صفي الدين ومن بعده ابنه صدر الدين سنيين، وكذلك الجماعة الدينية التي أنشأها في أردبيل سنية. لكن حفيده إبراهيم الذي تشيع وقاد صراعاً مع أهل السنة في داغستان ثم خلفه ثلاثة أحفاد أصغرهم إسماعيل وهو المؤسس الحقيقي للدولة الصفوية. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١٥/ ١٠٦، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ٢/ ١١٢٥.

(٢) بشكيريا: هي جمهورية تتمتع بالحكم الذاتي تتبع روسيا الاتحادية. تقع على السفوح الغربية لجبال الأورال في أعالي الفولغا. يبلغ عدد سكانها حوالي ٤ مليون نسمة. والبشكير مسلمون سنة من أصول تترية. انظر: مصطفى الطحان «مستقبل الإسلام في القوقاز...» ص ١٤٨، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٣٧٤.

(٣) انظر: مصطفى الطحان «مستقبل الإسلام في القوقاز...» ص ٢٨، وانظر: تعريب د. إحسان حقي «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» ص ٢٧-٢٨.

(٤) انظر: تعريب د. إحسان حقي «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» ص ٢٧-٢٨، وانظر: مصطفى الطحان «مستقبل الإسلام في القوقاز» ص ٢٨.

(٥) كباردين: (قبرطاي) نسبة إلى أحد الأعراق في شمال القوقاز. وجمهورية القبرطاي أو الكباردين إحدى الجمهوريات ذاتية الحكم التي تتبع روسيا الاتحادية وتقع وسط القوقاز الشمالي إلى الغرب من أوسيتيا الشمالية. مساحتها نحو ١٢,٥٠٠ كم٢. أكثر من ٨٥٪ من أراضيها جبلية. يبلغ عدد سكانها حوالي ٧٥٠ ألف نسمة غالبيتهم=

أجل الوصول إلى طرق المواصلات التجارية، غير أن جهاد القوقازيين والشراكسة ودعم العثمانيين أوقف الزحف الجديد، لكنه لم يمنع الروس من إقامة مستوطنات وبناء قلاع عسكرية، ونقل القوزاق (عرق موالي للروس) إليها من مناطق أنهار الفولغا والران، وبهذه الطريقة تكون ما يسمى بخط القوزاق العظيم في أقصى شمال القوقاز من شرقه إلى غربه.

- ومع نهاية القرن العاشر الهجري (١٦م) حقق القياصرة انتصارات كاسحة على حساب ممالك المغول المسلمة، وانتصارات جزئية في القوقاز في حرب سجال مع أهلها ومع العثمانيين. وشهدت تلك الأعوام تنشيط العثمانيين للدعوة الإسلامية في القوقاز والقرم كنوع من التحصين الديني والسياسي المضاد للروس.

- في عام ١١٢٢هـ (١٧١١م) حاول بطرس الأكبر الوصول إلى البحر الأسود ـ المنفذ البحري الهام ـ باحتلاله القرم إلا أنه هزم هزيمة كبرى. ثم حاول التقدم باتجاه مدينة دربند الداغستانية ومدينة أذربيجان إلا أن السلطان الصفوي الفارسي أجبره على التراجع والانكفاء[١].

شن قياصرة موسكو حملات اضطهاد شديدة الوطأة على المسلمين التتار في الفولغا وسيبيريا خلال الأعوام من ١١٥١ إلى ١١٦٩هـ (١٧٣٨-١٧٥٥م) حيث دمر الروس في مدينة قازان وحدها ٤١٨ مسجداً من أصل ٥٣٦، وتنوعت أساليب القهر من قمع وتهجير، ثم فرضوا التنصير القسري. لقد كان القانون القيصري يحرم اعتناق أي دين غير المسيحية الأرثوذكسية، واستبدلت بالسلافية كل اللغات العربية والفارسية والتركية التي كانت سائدة.

- في عام ١١٩٧هـ (١٧٨٣م) دخلت الجيوش الروسية القرم، وبسقوطها انهارت آخر معاقل المقاومة التترية المسلمة، وأعلنت كاترين الثانية[٢] بيانها الذي تضم فيه

= مسلمون سنة أحناف أصولهم شركسية، يشكل القبرطاي ٤٥٪ والروس ٣٧٪ والبالكار (البلغار) المسلمون ١٢٪. أهم مدنها العاصمة نالتشيك. انظر: مصطفى الطحان «مستقبل الإسلام في القوقاز» ص ١٨١.

(١) انظر: مصطفى الطحان «مستقبل الإسلام في القوقاز...» ص ٢٩-٣٠.

(٢) كاترين الثانية: وتسمى كاترين العظمى، إمبراطورة وقيصرة روسيا (١٧٦٢-١٧٩٦م) بدأت سياستها الداخلية بمشروعات إصلاح كبيرة. وخارجياً كانت تطمح بتحطيم الإمبراطورية العثمانية، غير أن أطماعها لم تتحقق إلا جزئياً. في عام ١٧٨٣م ضمت القرم، وخلال فترة حكمها زادت كثيراً في هيبة روسيا، غير أنها كانت على انحلال خلقي كبير. خلفها ابنها بول من بعدها. انظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ٢/ ١٤١٦.

القرم إلى الإمبراطورية الروسية. وبذلك أزيلت العقبة الكبرى أمام موسكو للوصول لمنافذ المياه الدافئة[١].

- انتزع الروس جورجيا ـ ذات الشعب الأرثوذكسي ـ من أيدي الصفويين عام (١٨٠١م). وامتدت حملاتهم العسكرية حيث هاجموا أذربيجان وداغستان وأجزاء كبيرة من أرمينيا وأخضعوها للحكم القيصري وذلك في الفترة من عام ١٢٣٥ إلى ١٢٤٤هـ (١٨٢٠-١٨٢٩م). لقد اختارت جورجيا طوعاً الحكم القيصري ولم تبد أية مقاومة، وفضلته على حكم الصفويين، مما سهل مهمة الروس في احتلال أذربيجان وداغستان التي أبدى بعض علمائها مقاومة باسلة.

إن اختيار جورجيا الانضمام إلى الإمبراطورية الروسية جعل المسلمين في شمال القوقاز وحدهم في مواجهة الروس[٢].

وبهذا تنتهي المرحلة الأولى من مراحل التوسع الروسي في الجنوب وفي الشرق على حساب بلاد المسلمين، لتبدأ بعد ذلك مرحلة ثانية لم تعهدها موسكو من قبل.

● **ثانيا: المرحلة الثانية:**

في هذه المرحلة واجه الروس حرباً شرسة لا هوادة فيها لم يكونوا يعهدوها من قبل، قادها العلماء والمشايخ في شمال شرق القوقاز بعد أن بسط قياصرة موسكو نفوذهم في إقليم القوقاز كله تقريباً.

وتبدأ هذه المرحلة بدعوة الشيخ غازي محمد[٣] (ويسمى أيضاً ملا غازي) شعوب

---

(١) انظر: د. محمد علي البار «المسلمون في الاتحاد السوفييتي عبر التاريخ» ١/ ٦٨، وانظر: مصطفى الطحان «مستقبل الإسلام في القوقاز...» ص ٣١.

(٢) انظر: جون باديلي «احتلال الروس للقفقاس» ص ١٦٥ وما بعدها. وانظر: مصطفى الطحان «مستقبل الإسلام في القوقاز...» ص ٣١.

(٣) الشيخ غازي محمد: ولد الإمام غازي محمد في قرية غمري حوالي عام ١٢٠٧هـ (١٧٩٣م)، ودرس العربية وعلوم القرآن على يد الشيخ سعيد أفندي. فنبغ في العلم وأتقن الخطابة إتقاناً بالغاً. وكانت بينه وبين الإمام شامل صداقة حميمة منذ طفولتهما حيث كان أول معلم للإمام شامل. والشيخ غازي من أوائل من دعا إلى قتال الروس وتحريم ولايتهم وذلك في عام ١٢٣٥هـ (١٨٢٤م)، وقد جاهدهم جهاداً عظيماً حتى لقي ربه بعد أن حاصره الروس في مسقط رأسه غمري. انظر: جون باديلي «احتلال الروس للقفقاس» ص ٢٧٥ وما بعدها. وانظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز..» ص ٦٠ وما بعدها.

المنطقة إلى الجهاد في سبيل الله لمقاومة المعتدي المحتل، وقد ألف كتاباً أقام فيه الدليل على ارتداد حكام الإمارات الداغستانية الموالين للروس أسماه «إقامة البرهان على ارتداد عرفاء داغستان»، وأخذ الإمام يطوف في المدن والقرى منطلقاً من قريته غمري يحرض المؤمنين على القتال.

أشعل الإمام غازي محمد جذوة الإيمان في النفوس، وأسس حركة جهادية قوية، واستطاع تدمير العديد من الوحدات العسكرية الروسية، كما استطاع اختراق الخط القوزاقي، وتعرضت مدن المستوطنين القوزاق الواقعة شمال نهر ترك لغارات المجاهدين.

لم يستطع الروس إخماد نار الحركة الجهادية إلا بعد حملة كبيرة استمرت ثلاث سنوات دفع فيها الروس ثمناً باهظاً حتى تمكنوا من الاستيلاء على غمري وقتل الإمام[١].

لقد كانت حركة الشيخ غازي محمد مقدمة لحركة جهادية كبرى في المنطقة قضّت مضاجع الروس لسنين طويلة، فلم يستقر لهم قرار ولم يهدأ لهم بال. لقد قاد الشيخ شامل[٢] حركة الجهاد بعد أن وحد الكثير من قوميات المنطقة تحت راية الإسلام، فقد استجاب لدعوته شعوب الداغستان من الأوار والقوموق والدارغين وشعب الشيشان، وكذلك شعوب الشركس في شمال غرب القوقاز. وفي عام ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) قام الروس بمحاولة جادة لتدمير المقاومة الإسلامية في شمال غرب القوقاز حيث الشراكسة وفي شمال الشرق حيث الشيشان والداغستان، غير أن القوات الروسية منيت بخسائر كبيرة على الجهتين.

---

(١) انظر: الأمير شكيب أرسلان «حاضر العالم الإسلامي» ٢/ ١٩٠، تأليف: لوثروب ستودارد، نقله إلى العربية: عجاج نويهض، وعلق عليه تعليقات كثيرة شكيب أرسلان، ط (٤) دار الفكر ـ بيروت، ١٣٩٤هـ (١٩٧٣م)، وانظر: روبرت كونكوست «قتلة الأمم..» ص ٢٦.

(٢) الشيخ شامل: هو أكبر قادة الجهاد في شمال القوقاز ضد الروس القياصرة، ولد في قرية غمري الداغستانية عام (١٧٩٧م) وتلقى تعليمه الشرعي في القوقاز على يد علمائها. شمر عن ساق الجهاد بعد احتلال الروس القياصرة بلاده، والتف الشعب الأبي من حوله، فذب من حوض ملته نحو ٣٥ سنة ظفر فيها بالروس في وقائع عديدة وألقى الرعب في قلوبهم. أقام حكم الشريعة الإسلامية في شمال القوقاز بعد أن استقر له الأمر. لم يسلم هذا المجاهد للروس إلا بعد أن جرت كل جيوشها إليه عام ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م). انظر: شكيب أرسلان «حاضر العالم الإسلامي» ٢/ ١٩٠-١٩١. وانظر: جون باديلي «احتلال الروس للقفقاس» ص ٢٦٨ وما بعدها.

واضطر القيصر إلى إخلاء الشيشان ومواقع عديدة في داغستان بعد أن حررها المجاهدون فنظموها وأقاموا حكم الشريعة فيها. وفي عام ١٢٦١هـ (١٨٤٥م) شن الروس هجومهم الرئيس ضد شامل بعد أن حشدوا ثلاثين ألف جندي لهذه العملية الكبيرة على مدينة دارغو، لكن الروس هزموا وحلت بهم كارثة كبيرة حيث فقدوا أربعة آلاف رجل، كما فقدوا معظم معداتهم التي غنمها المجاهدون[١].

وظلت الحرب سجالاً بين القوات الروسية المجهزة بأحدث الأسلحة وقتئذ، وبين الإمام ورجاله في مواقع عدة. وفي سنة ١٢٧٢هـ (١٨٥٦م) عندما انتهت حرب القرم[٢]، أصبح في وسع الروس أن يحشدوا كل جيوشهم ضد شامل الذي أمضى في مواجهتهم ربع قرن أو يزيد. يقول أحد الكتاب الروس: «أثناء إخضاع شيشانيا، تدنى عدد السكان بين سنة ١٨٤٧ وسنة ١٨٥٠م (١٢٦٣-١٢٦٦هـ) إلى نصف عددهم السابق، وبحلول سنة ١٨٦٠م (١٢٧٦هـ) أصبح عددهم ربع ما كان عليه»[٣] فاستسلم شامل. وأصبح بالإمكان حشد القوات الروسية ضد الشراكسة، وبدأ الهجوم سنة ١٢٧٨هـ (١٨٦٢م) واستمرت الحرب سنتين، حيث تم الاستيلاء بعدها على شمال غرب القوقاز، وتم طرد حوالي ٦٠٠ ألف شركسي مسلم من بلادهم، حيث استقر كثير منهم تركيا وبلاد الشام، واستوطن مكانهم رعايا روس في سياسة قيصرية تهدف إلى إخضاع المنطقة إلى الأبد[٤].

لقد تم إخضاع شمال القوقاز بعد نصف قرن من قبول جورجيا للحكم الروسي؛

---

(١) انظر: روبرت كونكوست «قتلة الأمم..» ص ٢٨. وانظر: جون باديلي «احتلال الروس للقفقاس» ص ٤٠٣ وما بعدها.

(٢) حرب القرم (١٢٦٩-١٢٧٢هـ، ١٨٥٣-١٨٥٦): اندلعت هذه الحرب بين القوات الروسية وجيوش التحالف التي ضمت كلاً من فرنسا والدولة العثمانية وسردينيا وبريطانيا. وقد سميت بذلك نسبة إلى شبه جزيرة القرم التي دار فيها معظم القتال. وقد بدأت الحرب بسبب نزاع حول مكانة الكنيسة النصرانية الأرثوذكسية في الدولة العثمانية الإسلامية، وهناك أسباب أخرى. وقد هُزمت روسيا في النهاية ووافقت على شروط السلم على مضض. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٩/ ٢٥٤. وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٧٠٢.

(٣) انظر: روبرت كونكوست «قتلة الأمم..» ص ٢٨. وانظر: جون باديلي «احتلال الروس للقفقاس» ص ٤٧٨ وما بعدها.

(٤) انظر: روبرت كونكوست «قتلة الأمم..» ص ٢٩. وانظر: تعريب د. إحسان حقي «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» ص ٣١ وما بعدها.

ورغم وطأة الحكم العسكري على المنطقة إلا أن الشعوب التي خضعت لم يكن خضوعها نهائياً، فعندما اندلعت الحرب مرة أخرى بين روسيا والدولة العثمانية عام ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) قامت مزيد من الثورات في المنطقة ونودي بإمام جديد في الشيشان، وتطلب الموقف أن ترسل روسيا ست فرق عسكرية لإخضاع شمال القوقاز، ولم يتم قمع تلك الانتفاضات إلا بعد أن انهارت القيصرية في موسكو وقامت الثورة البلشفية[١].

(١) انظر: روبرت كونكوست «قتلة الأمم..» ص ٣٠. وانظر: تعريب د. إحسان حقي «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» ص ١٢٦.

ثانياً: الدعوة الإسلامية خلال العهد البلشفي[١]:

سيتناول بحث الدعوة الإسلامية خلال العهد الشيوعي[٢] البلشفي الموضوعات التالية:

- مراحل سيطرة الشيوعيين على شمال القوقاز.
- محاولات الملاحدة طمس معالم الإسلام.

وتفصيل ذلك على النحو التالي:

• مراحل سيطرة الشيوعيين على شمال شرق القوقاز[٣]:

ظهر الانقلاب في روسيا عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) ضد القيصر نيقولا الثاني[٤] بقيادة

---

(١) البلشفي: كانت البلشفية تعني في أول أمرها الأغلبية التي تقابل كلمة المنشفيك التي تعني الأقلية بعد انقسام الحزب الاشتراكي الديمقراطي للعمال الروسي على نفسه سنة ١٣٢٠هـ (١٩٠٣م)، ولكنها تطورت وأصبحت بعد ذلك تعني الكراهية الموجهة ضد المجتمع البرجوازي (الطبقي)، وبصفة خاصة ضد الغرب الرأسمالي. وقد أصبحت أخيراً مرادفة للشيوعية في استعمالها العام. انظر: «الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» ٢/ ١٠٠٠.

(٢) الشيوعي: مشتقة من الشيوعية. والشيوعية مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي. وقد ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار. انظر: «الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» ٢/ ٩٢٩. وانظر «الموسوعة العربية العالمية» ١٤/ ٣١٨.

(٣) هذه الأحداث تم نقلها بتصرف واختصار من مخطوطة بعنوان «الفتنة الانقلابية الكبرى» بقلم المؤرخ محمد عبد الحميد الأرهاني حيث كتبت سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م)، وكان هذا المؤرخ واحداً من جنود الشيخ نجم الدين الحزي، وكان شاهداً على هذه الأحداث حيث قال في هذه الرسالة: «كتبت فيها ما شاهدته بعيني، وما سمعته تحققت منه».

(٤) نيقولا الثاني: هو آخر القياصرة الروس ١٣١٢-١٣٣٥هـ (١٨٩٤-١٩١٧م). حدثت في عهده سلسلة من مواسم الحصاد الفاشلة أدت إلى حصول مجاعة، كما أن تزايد الصناعة أخذ يظهر عدم الرضا بين الطبقة الوسطى والعمال. وشكل الروس الحانقون منظمات سياسية مختلفة معارضة، منها: الدستوريون الأحرار، والثوريون الاجتماعيون، والماركسيون. وأدى فشل سياسة القيصر في الحرب العالمية الأولى إلى زيادة السخط، وبحلول عام ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) كان الروس المتعلمون كافة يعارضون القيصر. وفي شهر جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ (مارس ١٩١٧م) ثار سكان روسيا، وتنازل القيصر عن العرش. وفي عام ١٣٣٦هـ (١٩١٨م) قتل البلاشفة القيصر وجميع أفراد أسرته. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١١/ ٣٧١-٣٧٣.

لينين[١] ورفقائه وأتباعهم في روسيا، ووصلت آثار هذا الانقلاب إلى داغستان، فأجمع الأهالي على ضرورة مقاومة الانقلابيين، وعلى ضرورة اختيار إمام لهم فأقاموا الشيخ نجم الدين الحزي[٢] إماماً، وكان رجلاً عالماً غنياً.

في نفس ذلك الوقت ظهرت مجموعة من الضباط الداغستانيين الذين ساهموا مع لينين وزملائه في تدمير مملكة الإمبراطور نيقولا الثاني، ومن أبرز هؤلاء الضباط ضابط يدعى «محاج وحدايوف»[٣].

وعندما رجع هؤلاء الضباط إلى وطنهم داغستان لإظهار الانقلاب فيها ضد القيصرية الروسية، ووصلوا إلى تميرخان شورة (عاصمة داغستان حينئذ) في فبراير سنة ١٣٣٦هـ (١٩١٨م)، دعوا الناس إلى الانقلاب، واختاروا الرؤساء المؤقتين، وحضر الناس إليهم للاستماع إلى برامجهم وأحكامهم وقوانينهم.

وكان من بين هذه الأحكام أخذ المزارع والأراضي من أربابها، وإظهار الاشتراكية والشيوعية، فكره العلماء والأغنياء أحكامهم هذه، وأنكروا عليهم وحذروا الناس منهم، وفر كثير من العلماء وعامة الناس إلى الجبال، وعملوا على تجميع الناس لمقاتلة هؤلاء الضباط الذين أطلق عليهم اسم «البلشفيك».

انقسم المستوطنون القوزاق القاطنون في إقليم ستافروبل (أقصى شمال القوقاز) بين مؤيد للثورة الجديدة ومعارض لها.

---

(١) لينين (١٢٨٧-١٣٤٢هـ، ١٨٧٠-١٩٢٤م) هو مؤسس الحزب الشيوعي في روسيا، منشئاً بذلك أول دكتاتورية للحزب الشيوعي في العالم. قاد ثورة أكتوبر عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) التي مكنت الشيوعيين من السيطرة على مقاليد الأمور في روسيا، ثم حكم البلاد حتى موته عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م). انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٢١/ ٣١٦.

(٢) الشيخ نجم الدين الحزي: نجم الدين بن محمد بن دنوغونه الحزي الداغستاني الملقب بالإمام الداغستاني الخامس. من ألمع القيادات الإسلامية في القوقاز في مطلع القرن العشرين. ولد نجم الدين عام ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م) لعائلة عريقة وغنية في داغستان، حقق نجم الدين تبحراً في علوم الشريعة حيث رحل إلى تركيا والحجاز وبلاد الشام، وأفاد رسوخاً في العلم ونبوغاً في الأدب العربي. انظر: نجم الدين بن محمد الداغستاني «أشواق داغستان إلى الحرم الشريف» شرح وتحقيق محمد الحبش، ص ١٥-١٧ ط (٢)، دار النور، دمشق ١٩٩٥م.

(٣) محاج: هو الشخص الذي سمى الشيوعيون «محاج قلعة» باسمه، وكانت قبل ذلك تسمى «تميرخان شوره» وذلك عرفاناً مهم بخدماته الكبيرة للشيوعية.

وفي مساء يوم ٦ رجب ١٣٣٦هـ (١٧ أبريل ١٩١٨م) ظهرت عدة سفن مقبلة من ناحية «إستراخان» جلبها الضابط «محاج»، وأحاطوا بقلعة «إنجه» الداغستانية بالمدافع، وأضرموا فيها نار الحرب. كما اشترك معهم بعض جنود القوزاق، فتقاتل الفريقان (جنود محاج، وجنود الإمام نجم الدين) من الصبح إلى الظهر، وضعف الإمام نجم الدين وجنوده لتفوق خصمه في العدة والعتاد، وانحاز ناحية الجبال. وبعدها بأيام قليلة استولى البلاشفة على قلعة شورة، وحاول نجم الدين استعادتها، وجمع العساكر في «كمره» لكنهم لم يستطيعوا.

رجع الإمام نجم الدين إلى قرية «ديلم» في رجب ١٣٣٦هـ (مايو ١٩١٨م)، وأرسل الرسل بالكتب إلى الشيشان يدعوهم لنصرته ضد البلشفيك، لكن سائر محاولاته باءت بالفشل. وفي نفس الوقت كان محاج وجنوده قد بدؤوا في التوسع نحو السهل والجبل، فاندفع بمدافعه وجنوده نحو المناطق الجبلية، وبعد معارك عدة استطاع البلاشفة السيطرة على أهل الجبال.

لم يستقر الأمر للبلاشفة، فقد تحركت مجموعة كبيرة من جنود المستوطنين القوزاق بقيادة الجنرال «بيجارخوف» وهجموا على البلاشفة، فاستولوا على قلعة أنجه ثم زحفوا إلى تميرخان شوره، ثم إلى دربند وباكو فسقطت بأيديهم. وانقطعت آثار الانقلاب البلشفي وقواده (محاج وأتباعه)، وجرت أحكام القوزاق في داغستان والقوقاز إلى أن وصل الجيش التركي إلى داغستان، واتخذ منطقة «غازي غموق» مركزاً له، وكان مع الجيش العلماء والفقهاء والوعاظ من الترك.

انتشر الترك في نواحي داغستان فاستولوا على دربند، وشوره، وباكو. وكان القوزاق قد أعدوا الخنادق في قلعة «أنجه»، واتخذوا من جبل «ترغ باشا» (جبل تاركي حالياً) حصناً لهم، فهجم الترك عليهم ووقعت بينهم مقتلة عظيمة، وفتح الترك قلعة أنجه في ٤/ ٢/ ١٣٣٨هـ (٢٧/ ١٠/ ١٩١٩م)، وانهزم القوزاق، وتراجعوا نحو ولايتهم في أقصى شمال القوقاز.

وفي فترة قصيرة استطاع الترك الاستيلاء على جنوب القوقاز وداغستان وبدؤوا في تنظيم أحوال الناس، ولم يختاروا الإمام نجم الدين للرئاسة، لعدم خبرته بالسياسة، فكره الشيخ نجم الدين ذلك منهم.

وبينما الأمر كذلك اضطر الترك للعودة إلى بلادهم لوصول خبر دخول الإنكليز إلى أرضهم اسطنبول. فذهبوا وتركوا الآلات الحربية هدية للداغستانيين ففرح نجم الدين برجوعهم وارتحل إلى ولاية القوزاق ليستعين بهم في تثبيت إمامته ضد البلشفيك، فعاد القوزاق من جديد إلى داغستان بمعاونة الإنكليز، واستقرت أمورهم في داغستان ودخل في خدمتهم شبان داغستانيون، ولم يعبئوا بنجم الدين بل طاردوه، فذهب ناحية جورجيا واستخفى فيها.

جاء البلشفيك من جديد برئاسة ستالين، واشتعلت الحرب بينهم وبين القوزاق وسارع المسلمون مرة أخرى لتولية إمام آخر عليهم، فاختاروا رجلاً يدعى «الحاج أذن خير السلطي»، وكان شيخاً غنياً زاهداً، فارتحل ناحية الشيشان، وسمي بأمير المؤمنين، وضرب نقداً باسمه في بلدة «فيدنو» الشيشانية مكتوب عليه «أمير المؤمنين في شمال قفقاس الحاج أذن خير عز نصره ـ ضرب في فيدنو».

بقي «أذن خير» في الشيشان مدة قليلة، وأدار السفراء بينه وبين البلشفيك: واصطلحوا على إخراج القوزاق من داغستان، فأرسل خواص رفقائه إلى المناطق الجبلية لتحريض الناس ضد القوزاق فوقعت الحرب في ناحية «دركه» بين الأهالي والقوزاق، وقتل في القوزاق خلق كثير.

وفي هذه الأثناء رجع نجم الدين من جورجيا، وجمع الجنود، وبدأ بتحريض الناس في الجبال وإثارتهم ضد البلشفيك من جديد، فجرت بينه وبينهم معارك عدة انتهت بهزيمته وفراره ناحية الشيشان، وبعدها استقرت الأوضاع في داغستان لصالح البلاشفة الشيوعيين، وكذلك في القوقاز كله حيث قضوا على دويلة الحاج أذن خير السلطي في الشيشان.

- **محاولات الملاحدة طمس معالم الإسلام:**

فور سيطرة البلاشفة على بلاد المسلمين في القوقاز وغيرها، باشر قادة الشيوعية بشتى الوسائل والطرق العمل لطمس معالم الدين الإسلامي وفرض مبدأ الإلحاد والشيوعية بأسلوب ماكر ومتدرج ودموي بهدف إطفاء جذوة الإيمان من قلوب المسلمين. ابتداء بالاحتيال والخديعة، ثم بقتل العلماء والدعاة، وإغلاق وهدم المساجد، ثم الطعن في الإسلام عقيدة وشريعة، وفرض عقيدة الإلحاد في مناهج التعليم والإعلام وغيرها، ثم

التهجير القسري لشعوب بأسرها وإحلال المستوطنين الروس، ومحاربة الشعائر الإسلامية، وإغلاق المحاكم الشرعية ومصادرة الأوقاف، واستهداف الأسرة والمرأة المسلمة، وغير ذلك من الوسائل التي سيتناول البحث بعضها بإيجاز.

لقد أسس بلاشفة موسكو بنيان دولتهم على الإلحاد المطلق الذي لا يعترف بالمعاني الروحية ولا يقيم وزناً لحقيقة الألوهية. ومن أشد ما نطقت به أفواه الشيوعيين وأقلامهم في حربهم ضد الدين الإسلامي الحنيف قولهم «الدين أفيون[١] الشعوب» وذلك قول مأثور عن ماركس وأتباعه من بعده[٢].

وتمضي الشيوعية في خط الإلحاد لتعلن على الإسلام حرباً لا هوادة فيها، إذ يقول لينين: «إن دعايتنا يجب أن تكون بالضرورة مشتملة على الدعاية للإلحاد.. ينبغي علينا أن نحارب الدين. وهذا هو ألف باء كل المادية وبالتالي الماركسية»[٣].

ويقول لينين أيضاً: «الله هو مجموعة من الأفكار أعدتها القبيلة، الأمة، الإنسانية. أفكار توقظ وتنظم المشاعر الاجتماعية بهدف ربط الفرد بالمجتمع وترويض الفردية الحيوانية»[٤].

لقد جعل الحزب الشيوعي السوفييتي من أول أهدافه ومهامه محاولة إقناع الناس بعدم وجود قوة إلهية تسيطر عليهم وتوجههم. وليس هناك ما يسمى بالبعث والخلود. ولذلك فعليهم الكفاح لتحسين أحوالهم المادية وتحقيق أهدافهم الدنيوية، فبعد الموت فناء نهائي لا بعث فيه ولا نشور. ويرون أن الديانات ما هي إلا آراء دنيوية خرافية تعبر عن أوضاع اقتصادية واجتماعية غير سليمة، وأنها ستختفي عند رفع مستوى الأوضاع الاقتصادية وتربية الوعي الاجتماعي لدى الشعوب والأفراد. ويرون أيضاً أن التعايش مع المؤمنين بالألوهية ممكن بالنسبة للنواحي السياسية والاقتصادية إلا أنه أمر مستحيل على المستوى

---

(١) أفيون: الأفيون هو عصارة الخشخاش. تُستعمل للتنويم والتخدير. انظر: «المعجم الوسيط» ١/ ٢٢. إصدار مجمع اللغة العربية، ط المكتبة الإسلامية ـ استانبول، ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م). وانظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٢/ ٤٠٩.

(٢) انظر: د. أمير عبد العزيز «النظرية الماركسية في ميزان الإسلام» ص ١٠١، ط(١) مكتبة الأقصى ـ عمّان، ١٤٠١هـ (١٩٨٠م).

(٣) لينين «نصوص حول الموقف من الدين» ص ٧٨.

(٤) المصدر السابق ص ١٣٣.

العقائدي، إذ إن توافق الإيمان مع الإلحاد يكاد يكون متعذراً[١].

لقد اعتبر الشيوعيون البلاشفة أن هناك تحالفاً بين الكنيسة الأرثوذكسية وطبقة الإقطاعيين[٢] الروس. ولذلك رأوا بأنه من الضروري محاربة الكنيسة بصفتها حليفاً للطبقة المعادية للثورة. ففي ١١ ربيع الآخرة ١٣٣٦هـ (٢٣/ ١/ ١٩١٨م) صدر من مفوضي الشعب في الجمهورية الروسية مرسوماً يتضمن النظام الأساسي للمنظمات الدينية بشأن حرية الضمير وحرية المجتمع والدين، وأعلن بموجب هذا المرسوم فصل الدولة عن الكنيسة فصلاً تاماً كما أعلن تأميم المنظمات الدينية المسيحية ومصادرة أملاكها.

وقد رأى الشيوعيون في الإسلام خطراً أشد من غيره من الأديان على النظام الشيوعي. لذا وقف الشيوعيون الروس منذ البداية موقفاً معادياً من الإسلام. إلا أن الزعماء الشيوعيين أظهروا في بداية عهدهم بعض الحذر والتروي عند تعاملهم مع المسلمين بهدف الدعاية واستمالة المسلمين في مختلف أنحاء العالم[٣].

ففي عام ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) وجه لينين بياناً إلى مسلمي العالم جاء فيه: «..ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة... إننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم. وإن عاداتكم وتقاليدكم حرة لا يمكن المساس بها. ابنوا حياتكم الحرة الكريمة المستقلة دون أي معوقات ولكم الحق في ذلك. واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة...»[٤].

ولمزيد من التضليل والخداع قام لينين بتسليم مصحف عثمان ﷺ الذي كان في حوزة دولة القياصرة إلى المسلمين، كما قام بتسليم عدد كبير من الوثائق والآثار الإسلامية الهامة التي كان القياصرة قد استولوا عليها إلى مسلمي القرم والقوقاز

---

(١) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ١٧٧-١٧٨، ط مطابع الصفوة ـ عمّان، ١٩٩٧م.

(٢) الإقطاعيين: الإقطاع مصطلح عام لوصف النظام السياسي والعسكري الذي كان سائداً في غربي أوربا خلال القرون الوسطى، حيث لم تكن هناك حكومة مركزية قوية، كما كان الأمن ضعيفاً. والسمة الأساسية لهذا التنظيم هي اقتصاد محلي زراعي سياسي، فالسيد كان يقدم حمايته للفلاحين مقابل خدمات ومكوس شخصية. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٢/ ٤٣١، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ١٨٥.

(٣) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ١٧٨.

(٤) انظر: د. محمد علي البار «المسلمون في الاتحاد السوفييتي عبر التاريخ» ١/ ٢٣.

وتركستان[١]. وسمح للمسلمين حتى عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) باتباع عقائدهم وممارسة شعائرهم. يقول الشيخ عبد الودود فتاح الدين ـ قاضي المسلمين في موسكو عام ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) ـ عندما التقاه شكيب أرسلان[٢] وسأله: ما هو الفرق بين الإدارة القيصرية السابقة والإدارة الشيوعية الحاضرة؟ قال: «..أما من جهة الحرية الدينية فقد صرنا في بحبوحة عظيمة، إذ إن البلشفيين لا يسألون الإنسان عن عقيدته...»[٣].

إلا أن هذا التسامح والتساهل مع المسلمين لم يدم طويلاً، إذ بدأ اضطهاد علماء الإسلام ودعاته عملياً عند المباشرة بإجراءات ما سمي بـ «الوسائل الطارئة» عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٨م) ثم تبع ذلك حملة منظمة شرسة لمحو الدين الإسلامي والقضاء على أئمته ودعاته، وكانت هذه الحملة على مراحل متتابعة كما يلي:

- في المرحلة الأولى: أغلقت المطابع التي تطبع الكتب الإسلامية، وحوربت اللغة العربية ومنع التحدث أو الكتابة بها. وقد كانت قبل ذلك لغة العلم لدى جميع المسلمين في روسيا[٤]. وبدأت الحرب الإعلامية المسعرة على علماء الدين، وفرضت عليهم الضرائب، وحرموا من حق التصويت والانتخاب[٥].

- في المرحلة الثانية: طلب رجال الشرطة والمخابرات من علماء الدين التوقيع على بيانات تنشر في الصحف، يطعن فيها الموقعون بالإسلام ويصفونه بأنه خديعة للشعب، ويقررون خلع جباتهم والتحول للإلحاد! وحيث إن غالبية العلماء والأئمة رفضوا ذلك فقد جرى نفيهم إلى سيبيريا، فخلت المساجد والمدارس الدينية من القائمين عليها.

---

(١) انظر: د. محمد علي البار «المسلمون في الاتحاد السوفييتي عبر التاريخ» ١/ ٢٣، وانظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ١٧٩.

(٢) شكيب أرسلان (١٢٨٦-١٣٦٦هـ، ١٨٦٩-١٩٤٦م): هو شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان، من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة. عالم بالأدب والسياسة، مؤرخ، من أكابر الكتاب، ينعت بأمير البيان. ولد في لبنان وتعلم في مدرسة دار الحكمة ببيروت. وأقام مدة بمصر، وانتخب نائباً عن حوران في مجلس «المبعوثان» العثماني. وسكن دمشق، ثم برلين، ثم جنيف ٢٥ عاماً، وعاد إلى بيروت وتوفي بها. من مؤلفاته: «الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية» و«غزوات العرب في فرنسة وشمالي إيطالية وفي سويسرة» وغيرها. انظر: «الأعلام» ٣/ ١٧٣، وانظر: «معجم المؤلفين» ١/ ٨١٨.

(٣) الأمير شكيب أرسلان: «حاضر العالم الإسلامي» ص ٢٨٧.

(٤) انظر: الأمير شكيب أرسلان «حاضر العالم الإسلامي» ص ١٨٨.

(٥) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ١٧٩-١٨٠.

- في المرحلة الثالثة: تمت مصادرة وهدم المساجد والمدارس الدينية أو تحويلها إلى نواد ومستودعات، كما صودرت الأملاك الوقفية. ففي الفترة من عام ١٣٤٧هـ إلى ١٣٥٨هـ (١٩٢٩-١٩٣٩م) هدم أو أقفل في شمال القوقاز وحدها ما يزيد عن أربعة آلاف مسجد وجامع. واعتبرت جميع المدارس الدينية التي تزهو بها شمال القوقاز مؤسسات غير قانونية فتم إقفالها، ومنع المسلمون من أداء فريضة الحج، وألغيت المحاكم الشرعية[١].

- في المرحلة الرابعة: تبدلت هذه السياسة بعض الشيء عندما بدأت الحرب العالمية الثانية[٢] عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م)، وكان هذا التبدل بهدف استمالة المسلمين وحثهم على دعم النظام المتهالك. فسمح بفتح عدد قليل من المساجد، وتوقفت الحكومة الشيوعية عن الإعدام والتعذيب لعلماء الإسلام ودعاته، وأنشئت أربع إدارات دينية للمسلمين هي:

١- المركز الإسلامي في روسيا الأوروبية وفي سيبيريا، ومركزه مدينة أوفا في بشكيريا، ولغته الرسمية التترية.

٢- المركز الإسلامي لأهل السنة في آسيا الوسطى وفي كازاخستان، ومركزه مدينة طشقند في أوزبكستان. وهو أكبر المراكز الإسلامية وأكثرها أهمية، ولغته الرسمية الأوزبكية.

٣- المركز الإسلامي السني الشيعي لما وراء القوقاز، ومركزه مدينة باكو في جمهورية أذربيجان.

٤- المركز الإسلامي لأهل السنة في شمال القوقاز، ومركزه مدينة بونياكس في

---

(١) انظر: الكسندر بينيغسن وشانتال لوميرييه «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي» ص ١٥٦، وانظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ١٨٠.

(٢) الحرب العالمية الثانية (١٣٥٨-١٣٦٤هـ، ١٩٣٩-١٩٤٥م) أزهقت أرواحاً كثيرة، وخربت كثيراً من الثروات، ربما كان لها من النتائج أكثر مما فعلته أية حرب أخرى في التاريخ. لقد عملت على إنهاء دور غربي أوربا مركز القوة العالمي، وأدت إلى ظهور الاتحاد السوفييتي السابق كقوة عالمية كبرى منافسة للولايات المتحدة واليابان وألمانيا التي هزمت أخيراً في هذه الحرب، وشهدت انتعاشاً اقتصادياً مثيراً. وكان تطور القنبلة الذرية خلال الحرب إيذاناً ببدء عصر الذرة. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٩/ ٢١٤، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٧٠٠.

جمهورية داغستان[١].

- في المرحلة الخامسة: بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وإحكام السلطة الشيوعية قبضتها، تخلت عن سياستها السابقة تجاه الإسلام، لاسيما بعد أن ظهر للروس أن الإيمان متمكن من قلوب المسلمين بعد السماح بفتح الإدارات الدينية، لذا قررت السلطة في عهد خروتشوف[٢] الوقوف بقوة ضد الدين الإسلامي، فشنت حملة منظمة تشبه الحملة التي وجهت إليه قبل الحرب، وشملت تنظيم حملة عقائدية إلحادية واسعة ضد الإسلام. ويمكن تقسيم الطعون والشبهات التي استخدمتها الدعاية الشيوعية ضد الإسلام على النحو التالي:

أ- الطعون والشبهات المسوغة ضد جميع الأديان بالادعاء بأن الأديان أفيون الشعوب، تلهي الجماهير الكادحة عن الكفاح الثوري وتدخل في روحها الخضوع العبودي. وهي عائقة أمام التقدم، وأداة بيد الطبقات المستغلة وعقائد خيالية. فهي إذن ضد الماركسية وتعيق مجيء الاشتراكية.

ب- الطعون والشبهات المستخدمة ضد الإسلام بشكل خاص، وتنقسم بدورها إلى عدة فئات:

١- طعون وشبهات تستهدف وجود الإسلام: بالادعاء بأن الإسلام دين فرضه بالقوة الغزاة العرب على أجداد المسلمين في آسيا الوسطى، والسلاطين العثمانيين في القوقاز الغربي، وشاهات إيران فيما وراء القوقاز.

٢- طعون وشبهات تستهدف عقيدة الإسلام وشريعته: بالادعاء بأن الإسلام أشد دين رجعي في العالم. إنه يذل المرأة ويخضع الشباب لسلطة أصحاب اللحى البيضاء التعسفية والطغيانية.

---

(١) انظر: الكسندر بينيغسن وشانتال لوميرييه «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي» ص ١٥٩، وما بعدها، وانظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ١٨٠.

(٢) خروتشوف (١٣١١-١٣٩١هـ، ١٨٩٤-١٩٧١م) هو نيكيتا سرجيفتش خروتشوف، كان زعيم الاتحاد السوفييتي السابق في الفترة ما بين ١٩٥٨-١٩٦٤م. وكان يأمل في رفع مستوى حياة الناس في بلاده. كما أنه وسع نشاط بلاده في اكتشاف الفضاء إلى حد بعيد. انتقد خروتشوف بشدة قسوة جوزيف ستالين، غير أنه سار على منهجه في الإلحاد ومحاربة الدين. عمل خروتشوف على تجنب الدخول في حرب مع الدول الغربية. وقد أدت سياسته هذه إلى إحداث انقسام بين الاتحاد السوفييتي والصين. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١٠/ ٤٢، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٧٥٤.

إن شعائر الإسلام وبخاصة الختان وصيام رمضان إنما هي تصرفات بربرية ومضرة بالصحة، كما أن الصلوات الخمس تصرفات ضد المجتمع تجلب الضرر لمردود عمل الجماهير الكادحة...إلخ.

٣- طعون وشبهات تستهدف أخلاق الإسلام: بالادعاء بأن الإسلام يقتل روح المبادرة، ويدخل أكثر من أي دين آخر في ذهن البشر روح الخنوع والتعصب، وأن أخلاق الإسلام تتعارض مع الأخلاق الاشتراكية السوفييتية الجديدة[١].

وقد كانت محاربة الإسلام ونشر الإلحاد يقعان بالدرجة الأولى على عاتق كل منظمات الحزب الشيوعي، لاسيما منظمتي «اتحاد من لا إله لهم» ومنظمة «الكومسومول»[٢] ولهاتين المنظمتين فروع في جميع جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق. كما أن مهمة نشر الإلحاد ومقاومة الدين الإسلامي تقع أيضاً على عاتق وزارات الثقافة في جميع الجمهوريات، وكل الوسائل الإعلامية والتعليمية وغيرها مجندة لنشر الإلحاد والنيل من الإسلام[٣].

ففي داغستان وحدها نشر القسم الداغستاني لجمعية نشر المعارف السياسية والعلمية أرقاماً تقريبية لعدد الندوات والمحاضرات التي تدعو للإلحاد وتحارب الإسلام، وهي كما يلي:

- سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م): ٤٠٢٠ محاضرة.
- سنة ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م): ٥٤٣٢ محاضرة.
- سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م): ٦٣٣٥ محاضرة[٤].

---

(١) انظر: تعريب د. إحسان حقي «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» ص ٢٧٤ وما بعدها، وانظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ١٨١.

(٢) منظمة الكومسومول: منظمة شبابية أنشأها الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي السابق بهدف غرس الإلحاد في عقول الشباب ومحاربة الأديان. ويمارس الطلاب عن طريق هذه المنظمة العديد من الأنشطة والبرامج الثقافية والاجتماعية التي تستهدف طلاب التعليم الثانوي والجامعي، ومركز المنظمة الرئيس في موسكو ولها أفرع في جميع جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق. انظر: أبحاث المؤتمر العالمي للندوة العالمية «الأقليات المسلمة في العام» ١/ ٧١. وانظر: تعريب د. إحسان حقي «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» ص ٢٧٦.

(٣) انظر: تعريب د. إحسان حقي «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» ص ٢٧٦.

(٤) انظر: عماروف «استعراض تاريخي لحرية المعتقد في داغستان خلال الفترة من ١٩٣٠-١٩٩٠م» ص ٩، إصدار: الجامعة الداغستانية في محاج قلعة ١٩٩٤م، ضمن مجموعة بحوث أكاديمية بعنوان «الإسلام في=

وفي عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م) أصدر مجلس وزراء جمهورية داغستان السوفييتية قراره حول «تقوية المراقبة على تنفيذ التشريع بشأن الأديان» حيث شدد المسؤولية القانونية ضد كل من يقوم بتعليم الدين الإسلامي والقرآن الكريم ـ لاسيما للأطفال الصغار ـ أو من يقوم برحلات للحج أو الدعوة لأعمال الخير والإحسان كترميم المساجد وبناء المشربيات وتوزيع المصاحف وغيرها، حيث يعتبر ذلك مخالفاً للقانون، وقد أودع كثير من المسلمين السجون والمعتقلات نتيجة ذلك القرار. وفي العام الدراسي ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) أدخلت مادة إلزامية في الجامعات والمعاهد الدراسية بعنوان «أسس الإلحاد العلمي» في دول شمال شرق القوقاز وعموم الاتحاد السوفييتي السابق، كما تم إنشاء أقسام دراسية تعنى بتعليم الإلحاد في العديد من الجامعات والمعاهد التربوية[١].

- في المرحلة السادسة: بعد سقوط خروتشوف عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) دخلت العلاقة بين الحكومة السوفييتية والمسلمين مرحلة جديدة، إذ خف الهجوم العنيف على الدين الإسلامي. ثم بوشر بفتح بعض المساجد ابتداءً من عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م)، وقد تسارع ذلك بعد اعتماد الرئيس غورباتشوف[٢] سياسة البيروسترويكا[٣] (إعادة البناء)،

= داغستان» مترجم عن اللغة الروسية.

(١) انظر: عماروف «استعراض تاريخي لحرية المعتقد في داغستان..» ص ١٢.

(٢) الرئيس غورباتشوف: هو ميخائيل غورباتشوف الرئيس الأخير للاتحاد السوفييتي السابق، ظهر على المسرح السياسي عام (١٩٨٥م) عندما أصبح رئيساً للحزب الشيوعي، وأدخل كثيراً من التغييرات في الاتحاد السوفييتي بما في ذلك زيادة حرية التعبير في الأمور السياسية وغيرها، وكرس جهده لتحسين العلاقات مع الغرب، وتقليل سيطرة الحكومة على الاقتصاد السوفييتي. وتم السماح في عهده بإنشاء أحزاب سياسية غير الحزب الشيوعي. كما طالب كثيراً من المواطنين في مختلف أنحاء الاتحاد السوفييتي بمزيد من التحرر من سلطة الحكومة المركزية مما أدى إلى انفراط عقد الاتحاد السوفييتي في شهر ذي الحجة ١٤١١هـ (يوليو ١٩٩١م). انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١١/ ٣٧٥.

(٣) البيروسترويكا: كلمة روسية تعني «إعادة البناء». وهي في جوهرها ترمي إلى إنقاذ روسيا من الانهيار الاقتصادي والسياسي الذي هو نتيجة طبيعية لمنهجية الإلحاد والاستبداد الشيوعي. وفي سبيل تحقيق الإنقاذ بادر الرئيس غورباتشوف إلى إطلاق الحريات الدينية والسياسية، وعمل تدريجياً على إنهاء سيطرة الدولة على الاقتصاد بهدف الانتقال إلى نظام السوق الحرة. إنها ترمي في النهاية إلى تخليص المجتمع الروسي من النتائج المأساوية التي خلفتها الشيوعية. انظر: م. غورباتشوف «البيرويسترويكا والتفكير الجديد لأجل بلادنا وللعالم بأسره» ص ١٣ وما بعدها. ترجمة: زياد الملا. ط دار الشيخ ـ دمشق، ١٩٨٨م. وانظر: فتحي يكن ومنى حداد «البيرويسترويكا منظور إسلامي» ص ١١ وما بعدها. ط (٢) مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٢هـ (١٩٩٢م).

فباشر المسلمون في شمال شرق القوقاز بناء وترميم وفتح المساجد في مختلف المدن والقرى، كما فتحت العديد من المدارس لتعليم العربية والعلوم الشرعية، وبدأت تنشأ مؤسسات وحركات اجتماعية وسياسية إسلامية العقيدة[١].

(١) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ١٨٢، وانظر: مصطفى محمد الطحان «مستقبل الإسلام في القوقاز وبلاد ما وراء النهر» ص ٥٣ وما بعدها.

المبحث الرابع:

تفكك الاتحاد السوفييتي
وجهاد الشعب الشيشاني من أجل الاستقلال

ويشتمل على التالي:

أولاً: تفكك الاتحاد السوفييتي.

ثانياً: جهاد الشعب الشيشاني من أجل الاستقلال

أولاً: تفكك الاتحاد السوفييتي:

● ١- أحداث تفكك الاتحاد السوفييتي:

لقد ظهرت إرادة التغيير وإعادة البناء (البيروسترويكا) لتقود الأحداث إلى تغيير سلمي، لكنها ما لبثت أن انفرط عقدها نهائياً مع عام ١٤١٢هـ (١٩٩١م) وتلاشى المعسكر الشيوعي تماماً وتفككت منظومة الإمبراطورية السوفييتية، وانفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالسيطرة الدولية.

كان الاتحاد السوفييتي المنافس الأكبر للولايات المتحدة في مجالات التسلح التقليدي والنووي، وإنتاج الآلات والمعدات الرئيسية والأساسية، وغزو الفضاء بدءاً من غزو القمر من قبل رواد الفضاء عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م)[١]، ثم استقطاب الدول الأضعف وإقامة القواعد العسكرية فيها من قبل القوتين المذكورتين، ومحاربة مصالح من يلوذ بأحد الطرفين من قبل الطرف الآخر، وظهور النزاعات المحلية والإقليمية التي يوجهها الطرفان عن طريق تأييد أحدهما لأحد الفريقين المتنازعين وتأييد الطرف الآخر للفريق الثاني. وغير ذلك من المجالات[٢].

ولقد كان يوصف الاتحاد السوفييتي في تلك الحقبة بكونه منافساً قوياً لأمريكا، ويوصف جيشه بأنه من أقوى جيوش العالم، وأنه القطب الثاني الذي يتحكم بمصائر الدول والشعوب.

وقد بدأت معالم التصدع للاتحاد السوفييتي عندما انهار حلف وارسو[٣] واستقلت

---

(١) انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١٨/ ٣٣٢.

(٢) انظر: د. حيدر غيبة «ماذا بعد إخفاق الرأسمالية والشيوعية» ٣٨١، ط (٢)، شركة المطبوعات، بيروت ١٩٩٥م.

(٣) حلف وارسو: معاهدة تم بموجبها توحيد أقطار أوربا الشرقية تحت قيادة عسكرية موحدة. تم التوقيع على المعاهدة في مايو ١٩٥٥م بوارسو من قبل كل من الاتحاد السوفييتي وألبانيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية والمجر وبولندا ورومانيا. وقد وقعت هذه الدول على الحلف بعد أن كونت الدول الغربية حلف شمال الأطلسي. ولم توقع الصين على المعاهدة لكنها تعهدت بدعم الدول الأعضاء في الحلف، كما انسحبت ألبانيا من الحلف في ١٩٦٨م. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٢٧/ ١٤، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ٢/ ١٧١٧ تحت عنوان «معاهدة المعونة المتبادلة لشرقي أوربا».

دوله عن موسكو، وتوحدت ألمانيا بل وتحركت الجماهير ضد الشيوعية والشيوعيين، وصارت هياكل لينين وماركس وانجلز[١] ورفاقهم من القادة الشيوعيين أهدافاً لا ترضى الشعوب بغير تحطيمها لكونها رمزاً للاستعباد والتخلف[٢].

وقد تزامن انسلاخ كتلة أوروبا الشرقية عن الفلك السوفييتي، مع تطبيق سياسة إعادة البناء التي انتهجها الرئيس غورباتشوف. فلقد تسلم غورباتشوف مقاليد قيادة الحزب والدولة في جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ (مارس ١٩٨٥م)، وطرح مجموعة من الأفكار، منها اقتصاد السوق وإعادة هيكلة الدولة وتغيير شكل الملكية. أما على الصعيد الخارجي فقد طرح فكرة البيت الأوروبي الموحد، وتخفيض التسلح ومبدأ المصالحة في حل النزاعات العسكرية في البلدان النامية، وخاصة البلدان التي سميت في حينه بلدان «التوجه الاشتراكي».

أصدرت الحكومة السوفييتية مجموعة من القوانين، منها قانون الإيجار، وقانون القطاع التعاوني، وقانون الاستثمارات الأجنبية، وسُمح لأول مرة للمواطنين بالمتاجرة وتبديل العملة. وكثف غورباتشوف زياراته الداخلية واللقاء المباشر مع الجماهير، و عمل على تغيير أكثر من ٧٠٪ من قيادة الحزب وكوادره لصالح نهج البيروسترويكا. وقد ظهرت تنظيمات سياسية، منها الحركة الديمقراطية الروسية وكانت مناهضة للحزب الشيوعي، علماً بأن معظم قادة هذه الحركة وكوادرها هم أعضاء في الحزب الحاكم.

في عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٧م) ظهر ما يسمى القطاع التعاوني الذي يعتبر من حيث الجوهر قطاعاً خاصاً لأن الظروف السياسية لم تكن تسمح لغورباتشوف بتبني فكرة القطاع الخاص رسمياً، ويمكن اعتبار هذه الخطوة البداية الحقيقية لتفكيك الاقتصاد الاشتراكي السوفييتي الضعيف.

خلال هذه الفترة ظهرت الشركات المحلية المختلفة وتركز نشاطها في مجال الاستيراد والتصدير والخدمات. وفي عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٨م) بلغ عدد العاملين في القطاع التعاوني

---

(١) إنجلز: فريدريك إنجلز (١٨٣٠-١٨٩٥م): عالم اجتماعي ألماني، صحفي وثوري محترف، اشتهر بتعاونه الوثيق مع ماركس. ساهم إنجلز مساهمة فعالة في صياغة النظرية الماركسية، وأهم أسسها فيما يتعلق بالنظرية السياسية للحركة الماركسية. انظر «الموسوعة العربية العالمية» ٣/ ١٨٢، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٢٣٧.

(٢) انظر: مصطفى محمد الطحان «مستقبل الإسلام في القوقاز وبلاد ما وراء النهر» ص ٤٥.

٥٩ ألف شخص، ثم زاد حتى بداية عام ١٤١٢هـ (١٩٩١م) إلى ٦,١ مليون شخص، وبلغ عدد الشركات التعاونية ٢٩٠٠ شركة ثلثها في روسيا. وفي هذه الفترة تزايد الاستيراد بنسبة ثلاثة أضعاف التصدير، وشملت الزيادة بشكل خاص السلع الغذائية والكهربائية.

تميزت هذه الفترة بحصول غورباتشوف على تأييد شعبي واسع بعد إطلاق الحرية الدينية والسياسية. كما تميزت بالتراجع الاقتصادي، فقد توقفت بعض المصانع بحجة تجديدها فأدى ذلك إلى انخفاض الإنتاج وخصوصاً السلع الغذائية والدواء. وقد أضعف هذا كله دور الحزب الشيوعي في قيادة الدولة والمجتمع، وكانت تلك هي المرحلة الأولى من مراحل تفكك الاتحاد السوفييتي[1].

تعالت أصوات الشعوب المطالبة بحق تقرير مصير انتمائها للاتحاد السوفييتي، فاتفق غورباتشوف مع زعماء عشر جمهوريات على توقيع معاهدة تقضي باستقلالها وتحررها عن موسكو في ١٠ صفر ١٤١٢هـ (٢٠أغسطس ١٩٩١م)، ولكن في يوم ٩ صفر (١٩ أغسطس) قام بعض زعماء الحزب الشيوعي بانقلاب ضد حكومة غورباتشوف، وسجنوا غورباتشوف وعائلته في منزلهم المعد لقضاء العطلات. وعندما قام يلتسن ـ رئيس جمهورية روسيا ـ بانتفاضة شعبية ضد الانقلاب الذي انهار في ١١ صفر (٢١ أغسطس). وبعد الانقلاب استرد غورباتشوف منصب رئيس الاتحاد ولكنه استقال من رئاسة الحزب الشيوعي.

استمرت مطالبة الشعوب الحصول على سلطات واسعة لإدارة شؤونها الخاصة. وفي ربيع الأول ١٤١٢هـ (سبتمبر ١٩٩١م) أقام مجلس نواب الشعب حكومة انتقالية لتحكم حتى يوضع دستور جديد ومعاهدة اتحاد، وتجرى الموافقة عليهما. وضمت هذه الحكومة مجلس دولة يتكون من غورباتشوف وزعماء بعض الجمهوريات التي تشكل الاتحاد السوفييتي السابق.

ثم في ٢ جمادى الآخرة ١٤١٢هـ (ديسمبر ١٩٩١م)، أعلن يلتسن ورؤساء روسيا

---

(١) انظر: د. حيدر غيبة: «ماذا بعد إخفاق الرأسمالية والشيوعية» ص ٣٨٢، وانظر: نجم عبد الحسين «روسيا: نظرة من الداخل» مجلة: «المستقبل العربي» الصادرة عن: مركز الدراسات الوحدة العربية، ص ٤٥-٤٦ العدد ٢٠٣، بتاريخ شهر ٩/ ١٤١٦هـ (١/ ١٩٩٦م).

البيضاء[١] وأوكرانيا[٢] تشكيل كومنولث الدول المستقلة[٣] وأعلن هؤلاء بأن الاتحاد السوفييتي لم يعد قائماً، ودعوا بقية الجمهوريات للانضمام إلى الكومنولث، وتشكيل دول مستقلة مرتبطة بروابط اقتصادية ودفاعية. وانضمت إحدى عشرة جمهورية للكومنولث فيما لم تنضم جورجيا ودول البلطيق وهي: إستونيا، ولاتفيا، ولتوانيا.

واستولى يلتسن على ما تبقى من حكومة الاتحاد السوفييتي المركزية بما في ذلك الكرملين. وفي ١٩ جمادى الآخرة ١٤١٢هـ (٢٥ ديسمبر ١٩٩١م)، استقال غورباتشوف من منصب الرئيس، واختفى الاتحاد السوفييتي عن الوجود[٤].

● **٢- أسباب تفكك الاتحاد السوفييتي:**

إن الناظر إلى الدعائم العقدية الفكرية والعملية التطبيقية التي أقام عليها الاتحاد السوفييتي بنيانه، يدرك ـ بما لا يقبل مجالاً للشك ـ الأسباب المنطقية والطبعية التي أدت إلى انهياره في جرف هار.

ونستطيع أن نستجلي أهم تلك الدعائم العقدية الفكرية والعملية التطبيقية التي قام عليها الاتحاد السوفييتي بمايلي:

---

(١) روسيا البيضاء: تسمى أيضاً بيلاروسيا. وهي دولة تقع شرقي أوربا. كانت منذ عام ١٩٢٢م وحتى ١٩٩١م جزءاً من الاتحاد السوفييتي ـ السابق ـ كانت تعرف باسم جمهورية روسيا البيضاء الاشتراكية السوفييتية، ويطلق عليها اختصاراً روسيا البيضاء. عاصمتها مينسك، وهي أكبر مدنها. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١١/ ٣٧٨. وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٤٧٢.

(٢) أوكرانيا: قطر زراعي صناعي تعديني غني في جنوب شرق أوربا، ومنذ عام ١٩٣٠م وحتى ١٩٩١م كانت أوكرانيا إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي (السابق). وفي أعقاب الاضطرابات التي زلزلت ذلك الاتحاد عام ١٩٩١م، أعلنت أوكرانيا استقلالها. تبلغ مساحة أوكرانيا ٦٠٣,٧٠٠كم، وسكانها نحو ٥٢,٤٩٨,٠٠٠ نسمة، حسب تقديرات عام ١٩٩٦م، وأكبر مدنها العاصمة كييف. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٣/ ٤١٩. وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٢٦٨.

(٣) كومنولث الدول المستقلة: رابطة تتكون من ١٢ دولة كانت تكون في السابق جمهوريات الاتحاد السوفييتي. وهذه الدول الأعضاء هي: أرمينيا، وأذربيجان، وروسيا البيضاء، وكازاخستان، وكيرجستان، ومولدوفا، وروسيا، وطاجكستان، وتركمانستان، وأوكرانيا، وأوزبكستان وعاصمة الرابطة هي منسك. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٢٠/ ٢٨١.

(٤) انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ١١/ ٣٧٥-٣٧٦، وانظر: مصطفى الطحان «مستقبل الإسلام في القوقاز وما وراء النهر» ص ٥٠-٥١.

أ- قيام بنيانه على الإلحاد:

لقد قامت أركان الاتحاد السوفييتي السابق على إنكار وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدير أمره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته.

كما قامت أركان هذا البنيان الهالك على اعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار ظاهرة الحياة وما تستتبع من شعور وفكر عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة.

فالشيوعية قائمة على منهج الإلحاد، فمن مبادئ الحزب الشيوعي قولهم: «لا إله والحياة مادة». ولقد شرع زعماء روسيا الشيوعية في إنشاء الأجيال التي تعتنق فكرتهم الإلحادية وتحيا بها وتعمل على نشرها. وكان الشباب الغض هو العنصر الذي يعتمد عليه الشيوعيون في إقامة فكرتهم ودولتهم[١].

يقول لينين ـ مؤسس الاتحاد السوفييتي السابق ـ: «إن دعايتنا يجب أن تكون بالضرورة مشتملة على الدعاية للإلحاد...»[٢].

ويقول أيضاً: «إن الله هو تاريخياً وشعبياً قبل كل شيء مجموعة من الأفكار ولدها غباء الإنسان المكبل بالأغلال. الإنسان المسحوق، هذا الانسحاق الذي سببه محيطه والقمع الطبقي»[٣].

ب- قيام الشيوعية على النظرة المادية[٤] المجردة للكون والحياة:

لقد قام الفكر الشيوعي الإلحادي على أن أصل الوجود كله مادة لها طاقة. وهذه

---

(١) انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني «كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة» ص ٤٣٣، وانظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» ٢/ ٩٢٩.

(٢) لينين: «نصوص حول الموقف من الدين» ص ٨٧.

(٣) المصدر السابق: ص ١٣٣.

(٤) المادية: هي النزعة القائلة بأن كل ما هو موجود مادي أو يعتمد كلية في وجوده على المادة، بزعم أنها الحقيقة الوحيدة القادرة على تفسير الحياة والسلوك وتطورهما، وبالتالي فإن المفهوم المادي للكائنات الإنسانية والمخلوقات الحية هي أنها ليست كائنات ثنائية مركبة من جسم مادي وروح لامادية، وإنما هي جسمية في طبيعتها تتكون من جزيئات لا تقبل القسمة أو الفناء. انظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» ٢/ ١١٤٧. وانظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٢٢/ ٤٧.

المادة عديمة الوعي والإرادة والتدبير، وليس وراءها عقل يدبرها، ولا إرادة تهيمن عليها وتسيرها، ولا قصد يوجه مسيرتها، ولا علم يحيط بكل ذرة من ذراتها وكل حركة من حركاتها، وليس لها علة من قبل عليم حكيم مريد قد أبدعها، ونظم حركتها، ووضع قوانينها[١].

ويزعم الماديون أن الحياة ظهرت في الكون المادي نتيجة المصادفة، دون خطة سابقة من عليم حكيم، ودون قضاء وقدر من مريد مختار، ودون قدرة من خالق قدير. ويزعمون أن الحياة ثمرة تفاعلات المادة الناتجة عن حركتها الذاتية المستمرة، فهي أثر تركيب خاص معقد للمادة.

وما زالوا يصرون على هذا الزعم، مع أن القرار العلمي الذي اتفق عليه العلماء الشرقيون والغربيون الماديون ينص على أن العالم عاجز عن إيجاد أدنى صورة من صور الحياة بتخليقها من المادة التي لا حياة فيها[٢].

وقد أنفق الاتحاد السوفييتي خلال ما يزيد عن ستين عاماً من الشيوعية، ستين ملياراً على مخابر علوم الحياة، ليثبتوا ادعاء العقيدة الماركسية بأن الحياة ما هي إلا تفاعل كيماوي، فباؤوا بالخيبة. وصدر قرارهم العلمي في سنة ١٤١٧هـ (١٩٩٦م) الذي قدم إلى القيادة السوفييتية، وقد تضمن مايلي: «ليس للعلم قدرة أن يثبت أن الحياة نتيجة تفاعل كيماوي. ولا نستطيع أن نوجد الحياة في الأشياء الحية من إنسان وحيوان ونبات إلا بالخلايا التي لا نستطيع أن نوجدها...».

وابتهج بهذا القرار السوفييتي علماء مخابر علوم الحياة في أمريكا، فدعوا العلماء الروس إلى أمريكا وعقد الفريقان اجتماعاً نتج عنه إصدار بيان مشترك جاء فيه:

«العلم عاجز عن إيجاد الحياة، وعاجز عن أن يعرف إلا بعض مظاهر المادة»[٣].

لقد تعلق الشيوعيون الماديون بذيول المادة، واندفعوا وراء الوهم الخادع الذي سيطر على مشاعرهم، وعلقوا أنفسهم بسراب المادة، وصبروا على ظمأ أفكارهم وقلوبهم الشديد الذي جعلهم لا يرون إلا سراب المادة.

---

(١) انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني «كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة» ص ٥١٣.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني «كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة» ص ٥١٣.

إنهم اتجهوا هذا الاتجاه الناقص الباطل عقلياً وعلمياً، ليفروا من الاعتراف بالحقيقة الكبرى وهي وجود الله عز وجل، وذلك لئلا يلتزموا تبعات هذا الاعتراف[١].

ثالثاً: محاربة الأديان عموماً، والإسلام على وجه الخصوص:

من المفاهيم الأساسية للنظرية الماركسية التي قام عليها الاتحاد السوفييتي السابق أنها تقوم على الإلحاد المطلق ـ كما أسلفنا ـ. الإلحاد الذي لا يعترف بالمعاني الروحية، ولا يقيم وزناً لحقيقة الألوهية، وعلى هذا الأساس فإن الماركسية ـ كما وصفها لينين ـ مادية بلا جدال، ملحدة ومناهضة بإصرار لجميع الأديان. ومن أشد ما نطقت به أفواه الشيوعيين وأقلامهم من حيث صوغ العبارات المنمقة في حرب الدين هو قولهم بأن «الدين أفيون الشعوب» وذلك قول مأثور عن ماركس وأتباعه من بعده[٢].

وفي الحرب المعلنة على الدين من قبل الماركسيين جميعاً يقول لينين: «الماركسية هي المادية وبصفتها تلك فهي معادية للدين معاداة لا رحمة فيها»[٣].

وإنكار الشيوعية للدين يكبر ويصغر بمقدار تدخل الدين في المجتمع. فإذا كان الدين يكتفي مثلاً بالجانب العبادي والأخلاقي، فإن الشيوعيين ـ مع كفرهم به ـ يرونه عدواً محدود الخطر. أما إذا تدخل في المعاملات العامة والخاصة واستكثر من الشرائع التي تضبط المجتمع على نحو معين، وتسوقه إلى وجهة بينة، فإن العداوة هنا تمتد وتشتد.

لذلك لا تطيق الشيوعية الإسلام لأنه مع شبهه للأديان الأخرى في الاعتراف بالألوهية واحترام الوحي، يمتاز بهيمنته على أزمة الحياة النفسية والاجتماعية، مع مزجه التام بين أحوال القلب وأحوال الدولة[٤].

رابعاً: قيام بنيانه الاجتماعي على ضرب أركان الأسرة وشيوع الرذيلة والانحلال:

الأسرة في نظر الإسلام محضن تطَّرد به مواكب الحياة باسم الله، وعلى هداه. إنه لا نزاع في وجود الشهوة لدى الجنسين، بيد أن لقاء الرجل بامرأته ـ وهو اللقاء الوحيد

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٥١٤-٥١٥.

(٢) انظر: د. أمير عبد العزيز «النظرة الماركسية في ميزان الإسلام» ص ١٠١.

(٣) لينين: «نصوص حول الموقف من الدين» ص ٢٥.

(٤) انظر: الشيخ محمد الغزالي «الإسلام في وجه الزحف الأحمر» ص ٢٥. مكتبة الأمل ـ الكويت، بدون تاريخ طبع.

الذي يقبله الدين ـ لا يتم إلا بعقد تستحل فيه الفروج بكلمة الله وإذنه..

فإذا تكونت الأسرة على هذا الأساس الفذ، تعاون أفرادها من بعد على طاعة الله وإرضائه، وكان من الطبيعي أن ينشأ الأولاد على دين أبويهم، وأن يقيموا شعائر الدين منذ نعومة أظفارهم.. والشيوعية ترفض هذين الأمرين معاً، في قيام الأسرة وفي وظيفتها.

ومع إنكار وجود الله وفقد نظام الأسرة دعائمه، يصبح الزنا عملة رائجة، وتصبح تربية الأولاد مهمة حقيرة وتافهة.

ودعاة الشيوعية كانوا حريصين أشد الحرص على زلزلة كيان البيت، وعلى تنمية العلاقات الآثمة بين الذكور والإناث[١].

ولقد عملت السلطات السوفييتية جاهدة للقضاء على كيان الأسرة المسلمة ذات السلطة الأبوية، كما عملت على تطوير هذه الأسرة ـ بزعمهم ـ لجعلها أسرة زوجية ضيقة وصغيرة لكي يسهل دمجها في المجتمع الروسي السوفييتي.

وبفضل هذه الجهود ظهر مجتمع جديد قائم على المساواة التامة بين الجنسين، ومبني على أسرة فردية ذات زوجة واحدة، وعلى إنسان جديد متحرر من أثقال التقاليد الدينية ـ بزعمهم ـ قادر على مساهمة رفاقه الروس في بناء الاشتراكية[٢].

خامساً: حصر أسباب التغيير في الجانب الاقتصادي المادي:

يرى الماركسيون أن الأسباب الرئيسة للمتغيرات السياسية والاجتماعية تقوم على عوامل الاقتصاد ووسائل الإنتاج، لما لها من تأثير كبير على الظروف والبيئات والأوضاع والأحوال.

وفي الحقيقة لا يمكن إنكار تأثير عوامل الاقتصاد ووسائل الإنتاج على النواحي السياسية والاجتماعية. لكن لا ينبغي أن نسقط معها تماماً مكانة العوامل والمؤثرات الأخرى، لاسيما المؤثرات الفكرية والعقدية والروحية. وهي في الحقيقة عوامل بالغة الأهمية لكونها ذات فعالية كبيرة في تحريك العقل والوجدان البشري.

لقد كان للماركسيين تصوراتهم المفرطة والمتهورة في جعل العامل الاقتصادي هو

---

(١) انظر: الشيخ محمد الغزالي «الإسلام في وجه الزحف الأحمر» ص ٣٥.

(٢) انظر: تعريب د. إحسان حقي «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» ص ٢٩١.

أساس التغيير بينما تجاهلوا العوامل المهمة الأخرى، وهذا يدل على عدم الاتزان أو الاعتدال في التفكير. فكيف يتأتى لهم هذا الفهم، وللعقدية أهميتها الكبرى وتأثيرها الشامل في عملية التغيير، بل هي تأتي في طليعة العوامل المؤثرة في عملية التغيير[١].

ومن أقرب الأمثلة الواضحة على ذلك قيام المجتمع الإسلامي الأول على دعائم العقيدة والفكر، وعلى أسس من معاني الوعي الروحي الممزوجة في صميم عقل ووجدان الإنسان المؤمن.

فلم يقم المجتمع الإسلامي الأول على أي من أسس الاقتصاد وعوامل الإنتاج، ومن يتطلع ويتأمل حياة المصلحين والدعاة الأوائل من المسلمين يتعجب كيف آثر هؤلاء حياة الحرمان والكفاف من أجل إقامة دولة العدل في أرجاء البسيطة. ولم يكن يدفعهم إلى ذلك حوائج الاقتصاد أو الإنتاج وإنما تحركوا بدافع الفكر والعقيدة والمشاعر الروحية التي تحفز المرء لخوض عباب المخاطر لا يهاب الردى دفاعاً عن قيم أو حفاظاً على كرامة أو وطن[٢].

سادساً: قيام بنيانه السياسي على الحكم الاستبدادي والقمع وقتل الحريات:

خلافاً للشعارات السابقة التي أطلقها في بداية الثورة عن الديمقراطية سمى لينين نظامه «دكتاتورية البروليتاريا» التي عرّفها بأنها «تعني بأن طبقة معينة فقط، وهي طبقة العمال الصناعيين، قادرة على حكم جماهير الدولة بأكملها. إن الدكتاتورية كلمة كبيرة... والكلمات الكبيرة مثل هذه ليست مجرد ألفاظ جوفاء تلتقط من الهواء. الدكتاتورية هي حكومة حديدية وصلبة، ثورية وجريئة، حاسمة بدون شفقة»[٣].

وما لبثت أن تحولت دكتاتورية الطبقة العاملة إلى دكتاتورية الحزب وقادته، وفي ظل دكتاتورية الحزب وقادته لم يعد لنصوص استقلال القضاء معنى، ولم يعد هناك فصل حقيقي بين سلطات البوليس والتحقيق والمحاكم.

يقول ميلوفان دجيلاس (نائب رئيس جمهورية يوغسلافيا سابقاً) في كتابه «الطبقة

---

(١) انظر: د. أمير عبد العزيز «النظرية الماركسية في ميزان الإسلام» ص ٦٨-٦٩.

(٢) انظر: د. أمير عبد العزيز «النظرية الماركسية في ميزان الإسلام» ص ٧٠-٧٢.

(٣) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ١٣٧، نقلاً عن
"A.Avtorkhanov "The Communist Party Appartus، سنة النشر: ١٩٥٦م. بدون ذكر الصفحة.

الجديدة»: «لقد أصبح من المستحيل عملياً الفصل بين سلطة البوليس والسلطة القضائية. إن الذين يقومون بالاعتقال هم الذين يحققون ويحاكمون، وهم الذين ينفذون العقوبات! فالسلطات التنفيذية والتشريعية مع أجهزة الاعتقال والتحقيق والمحاكمة وتنفيذ العقوبات تشكل جميعها مجموعة واحدة».

ويقول: «كان ستالين يمارس الأحكام بواسطة التعذيب بدون محاكم. وحتى في الحالات التي كان يتم إحالتها إلى المحاكم بدون تعذيب فالنتيجة تكون واحدة. إذ إن الشيوعيين يُصفّون حساباتهم مع معارضيهم ليس على أساس أن يكون هؤلاء المعارضون قد اقترفوا جرائم بل لمجرد كونهم معارضين»[١].

وفي خطابه السري في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي الذي عقد عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) يقول خروتشوف: «لقد أصبح واضحاً بأن العديد من النشيطين في المجالات الحزبية والاقتصادية ومجالس السوفييت الذين وصموا خلال عامي ١٣٥٦-١٣٥٧هـ (١٩٣٧-١٩٣٨م) بالأعداء لم يكونوا أعداء أو مخربين أو جواسيس مطلقاً، بل كانوا شيوعيين مخلصين ألصقت بهم مثل هذه التهم، وأصبحوا لا طاقة لهم على احتمال التعذيب الوحشي الذي تعرضوا له، فقاموا بناء على أوامر قضاة التحقيق الذين يُزوّرون الوقائع بإدانة أنفسهم بمختلف أنواع الجرائم الخطيرة التي لم يكن لها أساس من الواقع»[٢].

فإذا كان هذا شأنهم مع الرفاق الملاحدة فكيف هو الحال مع المؤمنين الموحدين؟! لقد سحق الملايين منهم بلا رحمة. وهذه نماذج موجزة لبعض صور القمع والإرهاب البشع الذي مارسته الشيوعية السوفييتية بحق المسلمين:

أ- قتل الشيوعيون في تركستان الغربية[٣] وحدها عام ١٣٥٢هـ (١٩٣٤م) نحو مائة

---

(١) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩-١٩٩١م» ص ١٣٨-١٣٩.

(٢) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ١٣٩، نقلاً عن " "Brow & Company الناشر Rememberrs Khumshcher. سنة الطبع: ١٩٧٠ بدون ذكر رقم الصفحة.

(٣) تركستان الغربية: منطقة جغرافية واسعة تقع في آسيا. تمتد من سيبيريا شمالاً إلى إيران وباكستان والهند والتيبت جنوباً. وتقع الصحراء المنغولية إلى الشرق منها، بينما يقع بحر قزوين إلى الغرب، وهي حالياً تضم جمهوريات أوزبكستان وكازاخستان وقرغيزستان وتركمانستان وطاجكستان. انظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٦/ ٢٢٨، وانظر: «الموسوعة العربية الميسرة» ١/ ٥٠٥.

ألف مسلم من أعضاء الحكومة المحلية حينئذ والعلماء والمثقفين والتجار والمزارعين[١].

ب- في الفترة من عام ١٣٥٥ إلى ١٣٥٧هـ (١٩٣٧-١٩٣٨م) ألقت روسيا القبض على نحو ٥٠٠,٠٠٠ (خمسمائة ألف) مسلم من مختلف الجمهوريات، ثم أعدمت فريقاً وأرسلت فريقاً آخر إلى مجاهل سيبيريا[٢].

ج- أبادوا في القرم عام ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) ما يزيد عن مائة ألف مسلم بالجوع، وأرغموا خمسين ألف مسلم آخرين على الهجرة[٣].

د- نفوا شعوباً مسلمة بكاملها إلى مجاهل سيبيريا، ومن أولئك الشعب الشيشاني والشعب الأنغوشي وشعب القرم وشعب القرتشاي وشعب البلغار وغيرهم، وذلك في عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م)، وقد مات مئات الآلاف منهم في الطريق حيث البرد الشديد والجوع والمرض[٤].

ه- هرب من جحيم قتلهم وسفكهم للدماء ملايين المسلمين جماعات وأفراداً في القرم وبلاد الشركس والداغستان وأذربيجان وتركستان وتترستان وغيرها. ففي تركستان وحدها هرب ما يزيد عن مليونين ونصف منذ عام ١٣٣٧هـ (١٩١٩م)، لقي مئات الآلاف منهم حتفهم في الطريق[٥].

و- في الفترة من عام ١٣٥٠ إلى ١٣٥٢هـ (١٩٣٢-١٩٣٤م) مات ثلاثة ملايين تركستاني جوعاً نتيجة استيلاء الروس على محاصيل البلاد، وتقديمها إلى الصينيين الذين أدخلوهم إلى تركستان[٦].

ز- هذه نماذج وأمثلة في مجال القتل الجماعي، أما أمثلة القمع ومصادرة الحرية

---

(١) انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني «الكيد الأحمر» ص ٢٥٨، ط (٣) دار القلم ـ دمشق، ١٤١٢هـ (١٩٩١م). وانظر: د. محمد علي البار «المسلمون في الاتحاد السوفييتي عبر التاريخ» ١/ ٦٩.

(٢) انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني «الكيد الأحمر» ص ٢٥٩.

(٣) انظر: د. محمد علي البار «المسلمون في الاتحاد السوفييتي عبر التاريخ» ١/ ٦٨. وانظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني «الكيد الأحمر» ص ٢٥٩.

(٤) انظر: روبرت كونكوست «قتلة الأمم» ص ٨٧ وما بعدها، و انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني «الكيد الأحمر» ص ٢٥٩.

(٥) انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني «الكيد الأحمر» ص ٢٥٩.

(٦) انظر: المرجع السابق ص ٢٥٩.

الدينية فنورد منها مايلي:

١- إغلاق عشرات الآلاف من المساجد والمدارس الإسلامية التي تزهو بها بلاد المسلمين.

٢- منع المسلمين من ممارسة شعائر الإسلام كالصلاة والصيام والحج.

٣- إحراق المصاحف والكتب الإسلامية وإيقاع أشد العقوبة على من يتداولها.

٤- منع إقامة أية علاقات مع المسلمين خارج الاتحاد السوفييتي.

٥- شن حملات إعلامية في كل وسائل الإعلام ضد الدين الإسلامي والاستهزاء بشعائره وأركانه.

٦- إيقاع أشد العقوبة على من يقوم بتعليم القرآن الكريم أو اللغة العربية أو أحكام الإسلام[١].

(١) انظر تفصيل ذلك في: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز...» ص ٩١ وما بعدها. وكذلك: د. محمد علي البار «المسلمون في الاتحاد السوفييتي عبر التاريخ» ١/ ٢٥ وما بعدها، وكذلك ١/ ٦٨ وما بعدها.

ثانياً: جهاد الشعب الشيشاني من أجل الاستقلال:

لقد خاضت شعوب شمال القوقاز المسلمة تجربة مستقلة في الجهاد في سبيل الله تعالى ومقارعة الاستعمار الروسي القيصري، ثم الاستعمار الشيوعي، ومن بعده الاستعمار الروسي الحديث. فكانت ثورة الشيخ شامل أعوام ١٢٤٨ إلى ١٢٧٦هـ (١٨٣٢-١٨٥٩م)، وكانت ثورة القائد جوهر دوداييف[١] أعوام ١٤١٥ إلى ١٤١٧هـ (١٩٩٤-١٩٩٦م)، وكان ما بين الثورتين نسيج متصل من الجهاد الذي لم يعرف الضعف ولا الاستسلام، على الرغم من قسوة الاستعمار الروسي وشدة بطشه التي لم ينافسها إلا ما عرفته الشعوب العربية والإسلامية من أساليب التنكيل والبطش التي مارسها الاستعمار الغربي في مغرب الوطن العربي ومشرقه سواء بسواء.

وتأتي أهمية جهاد الشعب الشيشاني لنيل الاستقلال بعد تفكك الاتحاد السوفييتي السابق لكونه قد ترك آثاراً واضحة بالغة الأهمية على مسيرة الدعوة الإسلامية المعاصرة في منطقة شمال شرق القوقاز، بل لقد ترك آثاراً واضحة على مجمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الإقليم وفي روسيا ذاتها[٢].

---

(١) القائد جوهر دوداييف: هو أول رئيس منتخب لجمهورية الشيشان بعد قرار استقلالها عن روسيا. ولد الرئيس جوهر دوداييف في ربيع الآخرة ١٣٦٣هـ (أبريل ١٩٤٤م) في الشيشان، وبعد ولادته بشهر واحد هجر مع شعبه إلى سيبيريا. انتسب إلى الأكاديمية العسكرية عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) ثم إلى الحزب الشيوعي، وبعد تخرجه من كلية «غاغارين» للنخبة العسكرية أصبح أول جنرال شيشاني في الجيش السوفييتي. ثم أصبح رئيساً لوحدة القصف الاستراتيجي. عاد إلى وطنه في رجب ١٤١١هـ (يناير ١٩٩١م)، وكان من أشد المطالبين باستقلال بلاده. انتخب رئيساً للمؤتمر القومي الشيشاني العام، ثم انتخب رئيساً لجمهورية بلاده في انتخابات حرة أشرف عليها مراقبون دوليون في ربيع الأول ١٤١٢هـ (أكتوبر ١٩٩١م). قاد بلاده بحكمة وشجاعة نادرة عندما غزاها الروس، ثم لقي ربه بعد عملية غادرة نفذها الروس في ٤ ذي الحجة ١٤١٦هـ (٢١/ ٤/ ١٩٩٦م).

كان ـ رحمه الله ـ محافظاً على الصلاة حريصاً على قراءة القرآن، وقد عمل على أسلمة القوانين في بلاده. انظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز...» ص ١٣٧ وما بعدها. وذكره بعض من التقاهم الباحث.

(٢) انظر تفصيل ذلك: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز...» ص ١٩٨ وما بعدها، وكذلك: د. فهد العصيمي «مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان» ص ١٢٦-١٢٧، ط الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض، من غير ذكر سنة الطبع.

● أهداف الغزو الروسي:

من أهم الأسباب التي من أجلها أقدمت روسيا على غزو الشيشان مايلي:

١- محاولة إظهار روسيا أنها مازالت دولة عظمى تحكم شعوبها، فعقلية الاستعمار ونهب الثروات مازالت تسيطر على القادة الروس رغم ادعاءات الانفتاح والتوجه الديمقراطي واحترام حقوق الإنسان(١).

٢- الخوف من أن تكون الشيشان قدوة لغيرها من الأقطار المستعمرة ـ لاسيما المسلمة ـ في الانفصال عن روسيا. وبغض النظر عن نتيجة الغزو الروسي للشيشان، فإن كثيراً من المحللين يتفقون على أن الاتحاد الروسي الحالي يتصف بجميع سلبيات العهدين القيصري ثم الشيوعي، لذا فإن عمر هذا الاتحاد القسري المفروض على الشعوب سيكون أقصر من عمر العهدين السابقين ـ والله أعلم ـ(٢).

٣- الموقع الجغرافي للشيشان، وكونها ملتقى الطرق والسكك الحديدية وخطوط البترول والغاز والطاقة الكهربائية الرئيسة في شمال القوقاز، وتواجد مرافق استخراج وتصفية النفط فيها(٣).

٤- طمع روسيا في استغلال مصادر النفط الغنية والواعدة في منطقة بحر قزوين، وتنفيذ مرور خطوط تصدير النفط عبر روسيا مروراً بالشيشان بدلاً من مرورها عبر أذربيجان وجورجيا وأرمينيا إلى تركيا(٤).

٥- رغبة الرئيس الروسي يلتسن في أن يظهر بصورة الرئيس الحازم المتمسك بوحدة روسيا قبل إجراء الانتخابات الرئاسية(٥).

٦- محاولة القيادة الروسية صرف أنظار الشعب عن الفشل الذريع في الإصلاح

---

(١) انظر: جمال الحوشبي «الشيشان صقور الجبال البيضاء» ص ٩٧، وانظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٢٩٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، وانظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز...» ص ١٥٣.

(٣) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٢٩٢.

(٤) انظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز...» ص ١٥٤، وانظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٢٩٢.

(٥) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٢٩٣.

الاقتصادي، ومحاولة التغطية على الفساد المستشري في أجهزة الدولة[١].

٧- رغبة روسيا والغرب الجامحة في ضرب الصحوة الإسلامية المتنامية في الشيشان، وقد صرح قادة الروس بذلك في أكثر من مناسبة. فالحرب أصبحت ضد الهوية الإسلامية ذاتها، لذا لم يكن مستغرباً رفض الروس الصليبيين كل دعوة قبل الحرب من قبل الشيشان للحوار وحل الأزمة بما يرضي الطرفين[٢].

● **الأسباب المعلنة للغزو الروسي وتفنيدها:**

إن أهم أسباب الغزو المعلنة من قبل السلطات الروسية مايلي:

١- الادعاء بأن الجمهورية الشيشانية جزء من الاتحاد الروسي، وأنها تمردت وأعلنت الانفصال من طرف واحد، من غير اعتبار الإجراءات القانونية المناسبة. وعليه فإن من واجب السلطات الروسية أن تحافظ على وحدة أراضي روسيا.

وهذا الادعاء مخالف للواقع، إذ إن إعلان استقلال جمهورية الشيشان قد تم بناء على قرارات المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني ومصادقة برلمان الجمهورية. في حين أن انفصال جمهورية روسيا الاتحادية عن الاتحاد السوفييتي السابق كان بقرار فردي من الرئيس يلتسن، بدون إجراء استفتاء أو مؤتمر وطني أو مصادقة من برلمان الجمهورية[٣].

٢- الادعاء بأن الجمهورية الشيشانية هي جزء من الاتحاد الروسي.

وهذا الادعاء مخالف للواقع أيضاً. فالشيشان كانت جمهورية مستقلة ذات سيادة منذ تاريخ ١٠ جمادى الأولى ١٤١١هـ (٢٧/ ١١/ ١٩٩٠م). وعندما تفكك الاتحاد السوفييتي في ١٤١٢هـ (١٩٩١م) لم تكن الجمهورية الشيشانية قانونياً ولا عملياً جزءاً من الاتحاد السوفييتي السابق، ولا جزءاً من جمهورية روسيا السوفييتية الاتحادية السابقة. كما أن جمهورية الشيشان رفضت الانضمام إلى جمهورية روسيا الاتحادية التي تشكلت في وقت

---

(١) انظر: جمال الحوشبي «الشيشان صقور الجبال البيضاء» ص ٩٩، وانظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز...» ص ١٥٤.

(٢) انظر: د. فهد العصيمي «مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان» ص ١٠٣-١٠٤، وانظر: جمال الحوشبي «الشيشان صقور الجبال البيضاء» ص ١٠٠.

(٣) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٢٩٣.

لاحق بتاريخ ١٠ شعبان ١٤١٢هـ (١٣/ ٢/ ١٩٩٢م) وبناء على ذلك فإن جمهورية الشيشان لم تكن في يوم من الأيام جزءاً من جمهورية روسيا الاتحادية[١].

٣- الادعاء بأن القضية الشيشانية شأن داخلي لروسيا، ولا يحق لدول خارجية التدخل فيه.

وهذا الادعاء مخالف للواقع أيضاً، حيث إن الغزو الروسي يمثل ـ بموجب المواثيق والأعراف الدولية ـ غزواً واحتلالاً عسكرياً لدولة مستقلة ذات سيادة، ومن واجب المجتمع الدولي استنكاره[٢].

٤- الادعاء بأن السلطة في الشيشان غير شرعية، وصلت إلى الحكم بطريقة غير دستورية.

والواقع أن السلطة في جمهورية الشيشان تمثل إرادة الشعب، وقد تم اختيارها في انتخابات حرة جرت بوجود مراقبين دوليين، ولم يطعن أحد بإجراءاتها[٣].

٥- الادعاء بأن المجاهدين الشيشان ما هم إلا عصابات متمردة، خارجة على القانون، تنشر الإرهاب والفوضى في الشيشان. وأن من واجب السلطة المركزية في موسكو تخليص سكان الشيشان منهم.

وهذا الادعاء مضحك! إذ لو صح أن أبناء البلد المجاهدين ما هم إلا عصابات متمردة، فماذا يكون مستوى جيش يعتبر من أكبر جيوش العالم عدداً وعدة، مسلح بأحدث الأسلحة وأكثرها تدميراً، تلحق به هذه العصابات هزائم مهينة؟![٤].

- **الأوضاع في الشيشان وفي روسيا قبيل الحرب:**

لقد كانت إرادة التصدي للعدوان والاستعداد للجهاد تجري على قدم وساق في الشيشان عشية الحرب الظالمة، فقد كان الرئيس جوهر دوداييف يدرك جيداً أن يلتسن سيشن الحرب على بلاده بعد أن فرض عليها حصاراً اقتصادياً شاملاً لمدة ثلاث سنوات.

---

(١) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٢٩٣.

(٢) انظر: سعيد بينو، المرجع السابق ص ٢٩٣.

(٣) انظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز...» ص١٣٩، وانظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٢٩٤.

(٤) انظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز...» ص١٣٩، وانظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٢٩٤.

وكان يدرك أيضاً أن هجوم المعارضة المدعومة مادياً وعسكرياً من موسكو في شهر جمادى الآخرة ١٤١٥هـ (نوفمبر ١٩٩٤م) ما هو إلا مقدمة للحملة العسكرية الروسية، ولذلك كان جوهر يستعد للحرب، فقد سلح قواته المؤلفة من ١٥ ألف مجاهد، ورحل النساء والأطفال والشيوخ بعيداً عن العاصمة إلى الجبال، وشكل الكتيبة الإسلامية ليتدفق إليها من شاء من المتطوعين المسلمين من جمهوريات القوقاز الأخرى[١].

أما في روسيا التي كانت تعاني أزمة اقتصادية خانقة فقد كان الغرور وداء العظمة يسيطر على قادة الحرب من جنرالات الروس. فقد أكد وزير الدفاع الروسي الجنرال بافل غراتشوف لرئيسه يلتسن أن فرقتين من قوات المظلات الروسية تستطيع أن تنهي الوضع في الشيشان، وتستولي على العاصمة غروزني في ساعتين فقط. وهكذا أمر يلتسن ٤٠ ألف جندي روسي بالزحف على الشيشان ومعهم أحدث الأسلحة الثقيلة، وشاء الله تعالى أن تكون مقبرة كثير منهم العاصمة غروزني[٢].

- **الممارسات الروسية في الحرب:**

مارست روسيا في غزوها للشيشان أساليب مخالفة للأعراف الدولية، ومن ذلك مايلي:

١- اتبعت روسيا سياسة الأرض المحروقة، واستعملت مختلف أسلحة الدمار ـ بما فيها الأسلحة المحظورة دولياً ـ في قصف صاروخي ومدفعي وجوي لأهداف ومرافق مدنية وأحياء سكنية ضد مواطنين مدنيين عزل.

٢- خرقت روسيا المواثيق الدولية بمنع بعض هيئات وجمعيات الإغاثة الدولية من إيصال المعونات أو تقديم العلاج للمدنيين[٣].

٣- اقترفت روسيا مجازر جماعية متعمدة في قرى مسالمة كانت تحت سيطرة القوات الروسية مثل مجزرة قرية سيماشكا التي قتل فيها حوالي ٣٠٠ من الأطفال والنساء والشيوخ الذين لم يكن بينهم محارب واحد. ولم تقم السلطات الروسية بالتحقيق في هذه المجزرة أو محاكمة المسؤولين عنها[٤].

---

(١) انظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز...» ص ١٥٥.

(٢) انظر: د. فهد العصيمي «مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان» ص ١٠٤، وانظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز...» ص١٥٧.

(٣) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٢٩٧.

(٤) انظر: د. فهد العصيمي «مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان» ص ٨٣-٨٤.

٤- اعتقال وتعذيب واغتيال المدنيين الشيشان، وإقامة معسكرات خاصة لهذه الغاية، حيث كان أكبرها في مدينة موزدوك في إقليم ستافروبل الروسي. يقول أحد الصحفيين الروس بأن ألفين من المدنيين الشيشان الذين اعتقلتهم القوات الروسية اختفوا[١].

- **تسلسل الأحداث[٢]:**

إن تسلسل أهم الأحداث في الشيشان خلال تلك المرحلة الهامة من الصراع مع موسكو يتلخص في التالي:

- في شهر ربيع الأول ١٤١٢هـ (أكتوبر ١٩٩١هـ): جوهر دودايف ـ الجنرال السابق في سلاح الجو السوفييتي ـ يفوز بانتخابات الرئاسة في جمهورية الشيشان ويعلن استقلال الجمهورية.

- في ربيع الآخر ١٤١٢هـ (نوفمبر ١٩٩١م): الرئيس يلتسن يعلن حالة الطوارئ في الشيشان ويرسل قواته إلى غروزني، إلا أن هذه القوات تنسحب بعد ثلاثة أيام بدون قتال.

- في جمادى الآخرة ١٤١٥هـ (نوفمبر ١٩٩٤م) تقوم جماعات شيشانية معارضة مدعومة من روسيا بمهاجمة غروزني، إلا أنها تندحر ويأسر الشيشان عدداً من الجنود الروس النظاميين الذين اشتركوا في هذه العملية.

- في يوم ٤/ ٧/ ١٤١٥هـ (٦/ ١٢/ ١٩٩٤م): اجتماع الرئيس الشيشاني جوهر دوداييف مع وزير الدفاع الروسي غراتشيف في مدينة نزران في أنغوشيا، ويتعهدان بحل الأزمة سلمياً بدون قتال.

- في يوم ٩/ ٧/ ١٤١٥هـ (١١/ ١٢/ ١٩٩٤م): روسيا ترسل قواتها إلى الشيشان، ويبدأ الغزو العسكري.

- في يوم ٢٩/ ٧/ ١٤١٥ (٣١/ ١٢/ ١٩٩٤): تقوم قوات مدرعة روسية بدخول غروزني، إلا أنها تدمر بالكامل.

---

(١) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٢٩٨.

(٢) المصدر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٣٠٥-٣٠٨، وكذلك: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز...» ص ٢٣٥-٢٤٩. وكذلك: إيمان السليمان «عزة الإسلام في جهاد الشيشان» ص ٣٦ وما بعدها، ط (١) الرياض ١٤٢١هـ، بدون ذكر دار النشر.

- في شهري شعبان ورمضان ١٤١٥هـ (يناير وفبراير ١٩٩٥م): قصف مدفعي وصاروخي وجوي روسي شديد يحول مركز مدينة غروزني وأكثر أحيائها إلى أنقاض، وينسحب المجاهدون الشيشان من المدينة.

- في شهر شوال ١٤١٥هـ (مارس ١٩٩٥م): القوات الروسية ترتكب مجزرة وحشية في قرية سيماشكا الشيشانية المسالمة.

- في يوم١٦/ ١/ ١٤١٦ إلى ٢٠/ ١/ ١٤١٦هـ (١٤/ ٦/ ١٩٩٥-١٨/ ٦/ ١٩٩٥م): مائتي (٢٠٠) مجاهد شيشاني بقيادة شامل باسايف[1] يهاجمون مدينة بودرينوفسك الروسية التي تبعد حوالي ٧٠ كيلومتراً عن الشيشان، وبعد قتال شديد قتلوا عدداً كبيراً من قوات وزارة الداخلية الروسية، واحتلوا البلدية ومركز الشرطة الرئيس ودوائر أخرى، واعتصموا مع بضع مئات من الرهائن في المتنجع الصحي، وبعد مفاوضات على الهاتف مع رئيس الوزراء الروسي انسحبوا من المدينة وعادوا إلى الشيشان في موكب المنتصرين.

- في يوم ٢٢/ ٧/ ١٤١٦هـ (١٤/ ١٢/ ١٩٩٥م): الشيشان يسترجعون مدينة غودرمس وأحياء من مدينة آرغون إلا إنهم يضطرون للانسحاب بعد أسبوع.

- في يوم ١٨/ ٨/ ١٤١٦هـ (٩/ ١/ ١٩٩٦م) المجاهدون الشيشاني بقيادة سلمان رودايف يهاجمون مدينة كزلار الروسية في داغستان. وفي طريق عودتهم بعد مفاوضات مع القوات الروسية تحاول هذه القوات قطع الطريق عليهم، فينتقلون إلى قرية بيرفوما يسكايا مع رهائن ويعتصمون فيها لمدة أربعة أيام، وتقوم القوات الروسية بتدمير كامل للقرية، إلا أن معظم المقاتلين مع رهائنهم تمكنوا من الإفلات والعودة إلى الشيشان.

- في يوم ١٦/ ٩/ ١٤١٦هـ (١٥/ ٢/ ١٩٩٦م) الرئيس يلتسن يعلن ترشيحه للرئاسة

---

(١) شامل باسيف: هو أحد قادة المجاهدين الشيشان. ولد عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٥م) في مدينة فيدنو جنوب شرقي الشيشان، عُرف باتزانه وهدوئه وصلاحه منذ صباه، اشتهر بحنكته وشجاعته وحبه للجهاد في سبيل الله تعالى، حيث شارك المسلمين الأبخاز في حربهم التحررية ضد جورجيا. قاد شامل عمليات مع ثلة من زملائه المجاهدين تميزت بالتنظيم الدقيق والبطولية الرائعة ضد قوات الغزو الروسي أسهمت بشكل فاعل في تسريع توقيع اتفاق «خاسا فيورت» للسلام في ١٧ ربيع الآخرة ١٤١٧هـ (٣١/ ٨/ ١٩٩٦م). انظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز...» ص ١٦٨ وما بعدها.

الروسية ويصرح بأن «أزمة الشيشان ربما كانت إحدى أخطائنا، وأنه يدرس خيارات السلام».

- في يوم ١٥/ ١٠/ ١٤١٦هـ (٤/ ٣/ ١٩٩٦م): وزير الدفاع الروسي يزور الشيشان ويعلن استعداده للاجتماع مع دوداييف.

- في يوم ١٧/ ١٠/ ١٤١٦هـ (٦/ ٦/ ١٩٩٦م): المجاهدون الشيشان يهاجمون غروزني ويستولون على قطاعات في المدينة لعدة أيام، إلا أنهم يضطرون للانسحاب.

- في يوم ٤/ ١١/ ١٤١٦هـ (٢٣/ ٣/ ١٩٩٦م): الشيشان يحيون ذكرى تهجيرهم الجماعي عام ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م).

- في يوم ١٢/ ١١/ ١٤١٦هـ (٣١/ ٣/ ١٩٩٦م): الرئيس يلتسن يأمر بإيقاف العمليات الحربية الكثيفة، وتنسحب القوات الروسية انسحاباً جزئياً من الشيشان، وتعرض إجراء مفاوضات مباشرة، إلا أن القتال العنيف يستمر.

- وفي يوم ٤/ ١٢/ ١٤١٦هـ (٢١/ ٤/ ١٩٩٦م): إعلان استشهاد الرئيس دوداييف بقصف جوي غادر، ويتولى نائبه سليم خان يندر باييف[1] مهام الرئاسة.

- في يوم ٧/ ١/ ١٤١٧هـ (٢٤/ ٥/ ١٩٩٦م): يلتسن ويندر باييف يجريان محادثات في موسكو، ويتفقان على هدنة استمرت ستة أسابيع.

- وفي يوم ١١/ ١/ ١٤١٧هـ (٢٨/ ٥/ ١٩٩٦م): الرئيس يلتسن يزور القوات الروسية في الشيشان، إلا أن هذه الزيارة انحصرت في مطار غروزني العسكري، ولبضع ساعات فقط.

- في يوم ١٧/ ١/ ١٤١٧هـ (٣/ ٦/ ١٩٩٦م): تتعرض اتفاقية وقف قتال كانت وقعت قبل ثلاثة أيام لصدع شديد بسبب الاتهامات المتبادلة بخرقها من الطرفين.

---

(١) سليم خان ياندر باييف: ولد عام ١٣٧١هـ (١٩٥٢م) في المنفى في كازاخستان عندما كانت تخضع للاحتلال الروسي في عهد ستالين. تلقى تعليمه في الشيشان، عمل راعياً للغنم وفي المقاولات العامة، حصل على شهادة الدبلوم في التنقيب عن النفط والغاز، حصل على الماجستير في الأدب الروسي والشيشاني، تلقى تعليمه العالي في معهد الدراسات العليا في موسكو، وحصل على عضوية جمعية الأدباء الروسية، تعلم العربية وبعض العلوم الشرعية لاسيما تفسير القرآن. انظر: مجلة «كشمير المسلمة» ص ٢٦، العدد (٩٤) محرم ١٤٢١هـ (أبريل ٢٠٠٠م)، وانظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز...» ص ١٨٠.

- في يوم ٢٠/ ١/ ١٤١٧هـ (٦/ ٦/ ١٩٩٦م): مفاوضون روس وشيشان يلتقون في نزران ـ عاصمة الأنغوش ـ بدون التوصل إلى اتفاقية سلام.

- في يوم ٢٣/ ١/ ١٤١٧هـ (٩/ ٦/ ١٩٩٦م): الروس يطالبون بإجراء انتخابات في الشيشان بتاريخ ٣٠/ ١/ ١٤١٧هـ (١٦/ ٦/ ١٩٩٦م) لتتزامن مع الانتخابات الروسية، إلا أن الشيشان يرفضون ذلك مادامت القوات الروسية متواجدة في الشيشان.

- في يوم ٢٤/ ١/ ١٤١٧هـ (١٠/ ٦/ ١٩٩٦م): المفاوضون الروس والشيشان يوقعون اتفاقيتين. وافق فيها المقاتلون الشيشان على نزع السلاح، ووافق الروس على سحب أربعين ألف (٤٠٠٠٠) جندي من الشيشان قبل نهاية ربيع الأول ١٤١٧هـ (أغسطس ١٩٩٦م). واتفقوا أيضاً على تأجيل الانتخابات في الشيشان حتى تزول المظاهر العسكرية.

- في يوم ٢٥/ ١/ ١٤١٧هـ (١١/ ٦/ ١٩٩٦م): انفجار في محطة نفق القطارات تحت الأرض في موسكو، ومقتل أربعة أشخاص، وكان التساؤل حول مسؤولية الشيشان عن الحادث، إلا أنه قد تبين أنه من فعل عصابات الإجرام في موسكو.

- في يوم ٢٨/ ١/ ١٤١٧هـ (١٤/ ٦/ ١٩٩٦م): يبدأ التصويت لرئاسة روسيا وبرلمان الشيشان، إلا أن المقاتلين الشيشان يعارضون إجراء انتخابات البرلمان المحلي.

- في يوم ٣٠/ ١/ ١٤١٧هـ (١٦/ ٦/ ١٩٩٦م): الطعن بنتائج الانتخابات في الشيشان والقوات الروسية تتعرض للنيران خلال الليل، ومراكز التصويت تعرضت للنيران مما استدعى إغلاقها في وقت مبكر.

- في يوم ٣/ ٢/ ١٤١٧هـ (١٩/ ٦/ ١٩٩٦م): مستشار الأمن الروسي الجديد الكسندر ليبيد يخطط لأن يطلب من يلتسن سحب القوات الروسية من الشيشان، وفصل وحرمان الشيشان من الموازنة الفيدرالية الروسية، وعزل وزير الدفاع غراتشيف.

- في يوم ١٧/ ٢/ ١٤١٧هـ (٣/ ٧/ ١٩٩٦م): انتخاب يلتسن لرئاسة الجمهورية الروسية للمرة الثانية.

- في يوم ٢٣/ ٢/ ١٤١٧هـ (٩/ ٧/ ١٩٩٦م): يتجدد القتال بعد انهيار المفاوضات حول إطلاق سراح أسرى الحرب من الفريقين. والمقاتلون يحتلون قرية جيخي يورت ويقتلون عدداً من الجنود الروس.

- في يوم ٢٥/ ٢/ ١٤١٧هـ (١٤/ ٧/ ١٩٩٦م): المدفعية والمروحيات الروسية تهاجم وتقصف قرى في جنوب الشيشان لليوم الثالث على التوالي، ويقتلون حوالي مائة (١٠٠) من المدنيين، ويخرقون اتفاقية وقف إطلاق النار.

- في يوم ٢٨/ ٢/ ١٤١٧هـ (١٤/ ٧/ ١٩٩٦م): القوات الروسية تحاصر عدة قرى في جنوب شرق الشيشان وتقصفها بشدة بدعوى تواجد مقاتلين فيها.

- في يوم ٢٢/ ٣/ ١٤١٧هـ (٦/ ٨/ ١٩٩٦م): المجاهدون الشيشان يدخلون غروزني وآرغون وغودرمس. وتبدأ أعنف المعارك منذ أكثر من عام، وتفقد القوات الروسية السيطرة على الوضع.

- في يوم ٢٦/ ٣/ ١٤١٧هـ (١٠/ ٨/ ١٩٩٦م): يلتسن يعين الجنرال ليبيد ممثلاً في الشيشان.

- في يوم ٢٨/ ٣/ ١٤١٧هـ (١٢/ ٨/ ١٩٩٦م): ليبيد يطير إلى الشيشان ويجتمع مع الجنرال أصلان مسخادوف رئيس أركان القوات الشيشانية لترتيب وقف إطلاق النار. وقادة الميدان الروس يرفضون عقد اتفاقية واضحة، غير أن الهدنة تصمد.

- في يوم ٣٠/ ٣/ ١٤١٧هـ (١٤/ ٨/ ١٩٩٦م): يلتسن يحل اللجنة الحكومية لشؤون الشيشان التي يرأسها تشير نوميردين ـ رئيس الوزراء ـ ويفوض ليبيد بصلاحيات واسعة لحل الأزمة.

- في يوم ١/ ٤/ ١٤١٧هـ (١٥/ ٨/ ١٩٩٦م): ليبيد يقابل يندر بابيف رئيس جمهورية الشيشان في الشيشان ويصرح الاثنان بأنهما متفائلان من المحادثات، ويسعيان لإنهاء الصدام العسكري.

- في يوم ٥/ ٤/ ١٤١٧هـ (١٩/ ٨/ ١٩٩٦م): القائد الروسي في الشيشان الجنرال كوستانتين بوليكوفسكي يمهل المدنيين ٤٨ ساعة لمغادرة غروزني، ويهدد بقصف شامل للمدينة لإخراج المقاتلين الشيشان منها. ويلتسن يطلب من ليبيد إعادة السيطرة على الوضع في الشيشان قبل نهاية الشهر.

- في يوم ٦/ ٤/ ١٤١٧هـ (٢٠/ ٨/ ١٩٩٦م): مجلس الأمن الروسي يشكك في صحة أوامر يلتسن، ويعلن معاونوه بأنه في استراحة قصيرة في شمال غرب روسيا.

- في يوم ١٧/ ٤/ ١٤١٧هـ (٣١/ ٨/ ١٩٩٦م): الجنرال ليبيد والرئيس مسخادوف يوقعان اتفاقية خطة سلام تلزم سحب القوات الروسية قبل نهاية أيلول وتشكيل لجنة للإشراف على عمليات إعادة التعمير، وتؤجل قرار الحل السياسي لمدة خمس سنوات.

- في يوم ١٨/ ٩/ ١٤١٧هـ (٢٧/ ١/ ١٩٩٧م): انتخابات الرئاسة والبرلمان في الشيشان. الجنرال أصلان مسخادوف يفوز برئاسة الجمهورية بأغلبية ٦٥٪ من المصوتين، وصرح بأنه ليس متشدداً بالنسبة لعلاقات الشيشان مع روسيا، إلا أنه ينبغي على روسيا الاعتراف باستقلال الشيشان وقال: «هناك موقف لا رجعة عنه، ينبغي على الروس أن يفهموه: إننا لا نقبل أبداً أن يكون لروسيا حق قتل شعبنا والتنصل من المسؤولية والحساب كما جرى في الماضي».

- رغم انقسام قيادات الشعب الشيشاني في الانتخابات غير أن الجميع اتفقوا على بناء الجمهورية التي دمرتها الحرب. فأصبح القادة الميدانيون مساعدين للرئيس.

- في عام ١٤١٨هـ (١٩٩٧م) اعتمدت أحكام الشريعة الإسلامية رسمياً، وأنشئت محاكم شرعية في أهم المدن الشيشانية.

- لم تستطع الحكومة الشيشانية النهوض بالبلد الذي دمرته الحرب، وذلك لأسباب عدة من أهمها حالة الحصار الاقتصادي والسياسي الخانقة التي فرضتها موسكو على شعب الشيشاني وحكومته.

- في عامي ١٤١٨-١٤١٩هـ (١٩٩٨-١٩٩٩م) ساءت الأحوال الاقتصادية أكثر لدى الناس في ظل الحصار الاقتصادي، وانسحب القادة الميدانيون من الحكومة.

- انفلت زمام الأمور في البلد بعد أن حلت المحاكم الشرعية، فانتشرت الجريمة بشكل خطير.

- في محاولة لفك الحصار الاقتصادي والسياسي قام الرئيس بجولة لبعض الدول العربية والإسلامية. ولم تفلح تلك الجهود حيث لم تتعاون معه أية دولة مسلمة سوى ماليزيا.

- أخذ المجاهدون يفكرون في وسيلة لفك الحصار الخانق الذي يفرضه الروس على بلدهم، فاتجهوا إلى ضرب القواعد الروسية في القوقاز، مما أدى بالحكومة الداغستانية إلى ضرب العمل الدعوي داخل داغستان واعتقال قياداته العلمية، مما جعل بعضهم يفر

بدعوته إلى خارج البلاد.

- منذ ذلك الحين بدأ التصعيد بين الطرفين حيث بدأ الاعتداء الروسي الوحشي على بعض قرى داغستان التي طبقت الشريعة الإسلامية، وبعض مدن الشيشان.

- في يوم ١٧ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ (٢٨/ ٨/ ١٩٩٩م): أرسلت روسيا قوات برية وجوية ضخمة وقصفت ليل نهار قريتي كرماخي وتشابمافي، فلم تترك فيها منزلاً قائماً ولا بيتاً شاخصاً، وسووها بالأرض على رؤوس الآمنين.

- لقد ثبت لدى المتابعين أن روسيا كانت تستعد لحرب أخرى طويلة حيث عززت مواقعها العسكرية في القوقاز، وطورت بعض أسلحتها لاسيما دبابات (٨٢) التي لا تدمرها قذائف (آر بي جي) المضادة للدروع والتي اجتاحت بها الشيشان.

- كان اجتياح القوات الروسية لبعض الأقاليم الداغستانية مرحلة أولى لاجتياح جمهورية الشيشان حيث أظهرت روسيا ما كانت تخفيه وترجئه من رغبة جامحة في إبادة الشعب الشيشاني الذي تراه شعباً مخيفاً يقف ضد أطماعها في المنطقة، فأعدت لهجومها على الشيشان قوات برية وجوية ضخمة وتجاوزت كل القوانين والأعراف الإنسانية في ضربها الوحشي للآمنين في القرى والمدن، غير أن جند الله لهم بالمرصاد، فقد أبلى المجاهدون بلاءً حسناً في التصدي للاعتداء.

- **نتائج جهاد الشعب الشيشاني في حربه لنيل الاستقلال عامي ١٤١٥-١٤١٦هـ (١٩٩٤-١٩٩٦م):**

كان لحركة الجهاد التي خاضها الشعب الشيشاني في حربه لنيل الاستقلال من المعتدي الروسي عامي ١٤١٥-١٤١٦هـ (١٩٩٤-١٩٩٦م) نتائج وثمرات كثيرة، نورد منها مايلي:

١- دفع العدوان الروسي وكسر شوكة جيشه وإنزال الرعب في قلوبهم:

لقد دقت موسكو طبول الحرب، وقرر ما يسمى مجلس الأمن القومي الروسي اجتياح أرض الشيشان يوم ٥/ ٧/ ١٤١٥هـ (٧/ ١٢/ ١٩٩٤م) معلناً بذلك العدوان على شعب آمن. وقد ظن جنرالات الحرب الروس أن العملية مجرد نزهة تنتهي في ساعات أو أيام.

وتتواصل الغارات المدمرة على العاصمة، وتستهدف إحداها داراً للأيتام فيسقط

العشرات من الأطفال والنساء بين قتيل وجريح.

وتشن القوات الروسية هجوماً واسعاً على غروزني بعد ثلاثة أسابيع من التدخل الروسي، وتدور رحى معركة طاحنة داخل المدينة. وتقول الحكومة الروسية إن قواتها تسيطر على مراكز متقدمة في المدينة بما فيها القصر الرئاسي.

وبين عشية وضحاها تنقلب الأمور، ويتحول الغرور والصلف الروسي إلى هزيمة.

ففي يوم ٢٨/ ٧/ ١٤١٥هـ (٣١/ ١٢/ ١٩٩٤م) يعلن وزير الإعلام الشيشاني أن محاولة السيطرة على غروزني قد صدت، وأن الشيشان استولوا على سبعين دبابة روسية!

ويعترف الكرملين في ٣٠/ ٧/ ١٤١٥هـ (١/ ١/ ١٩٩٥م)، بأن الموقف في غروزني قد ساء في غضون الساعات الماضية وأن قواته واجهت مقاومة عنيفة!

ثم تتوالى الأخبار بأن الهزيمة كانت ساحقة، وأن غالبية الدبابات والمصفحات التي أرسلت إلى غروزني والتي تزيد عن مائتي وخمسين (٢٥٠) عربة مدرعة قد دمرت، وأن القوات المسلحة الروسية تكبدت خسائر بشرية فادحة.

هكذا كانت الجولة الأولى والأهم من جولات تلك الحرب الظالمة على الشعب المسلم.

فبالرغم من قلة أعداد مقاتلي الشيشان، فقد أمكن لهم تنفيذ عمليات قتالية رائعة أذهلت العالم، واستقطب اهتمام شعوب العالم وقياداته، فكان الصراع أمثولة لقتال قوات نوعية مميزة بروحها المعنوية العالية وكفاءتها القتالية الرفيعة ضد قوات ضخمة العدد تمتلك أقوى وسائط الحرب والقتال ولكنها تفتقر للإيمان بالقضية التي تخوض الحرب من أجلها[1].

٢- انتصار الحق على الباطل وضرب أروع المثل في التضحية والشجاعة:

يقول المولى جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[الحج: ٣٨-٣٩].

(١) انظر: الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية «تقرير عن أزمة الشيشان» ص ١٩-٢٢. إعداد: مركز الدراسات والبحوث ـ لجنة مسلمي آسيا ـ دولة الكويت.

لقد وقع الظلم على هذا الشعب الصغير المستضعف، فاستعان بربه وركن إلى إيمانه، وانتصر في نهاية المطاف فكان انتصاره انتصاراً للحق على الباطل، وانتصاراً للإيمان على الضلالة.

وضرب هذا الشعب أروع المثل في الجهاد والتضحية والشجاعة النادرة بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء. وفي ذلك يقول أحد قادة الروس في مذكراته: «إن الشيشان يستحقون كخصوم كل تقدير واحترام، ففي وسط الغابات والجبال لا تستطيع أية قوة بشرية أن تغلبهم، فهم رماة مهرة شجعان أذكياء وينتهزون فرصة كل خطأ ارتكبناه لتدميرنا»[١] ويقول آخر: «رأيت بعضهم أثناء القتال ممزقين إرباً وأجسادهم مثقوبة كالمنخل ومع ذلك كانوا يستمرون في القتال كأنهم لا يشتكون من شيء». وهذه أم تودع ابنها الذي استشهد أخواه فتقول: «اذهب يا ولدي. مت وأنت تحارب في سبيل دينك ووطنك ومن أجل حريتك. إن هذا الموت أفضل من الحياة تحت نير الروس، تذكر والدك حين طلب مني أن أخرج بأسناني من كبده رصاصة روسية قبل أن يموت لأنه لم يود أن تصعد روحه إلى بارئها وفي جسده رصاصة كافر»[٢].

٣- اعتراف الروس ضمناً باستقلال جمهورية الشيشان:

لقد كانت موسكو تتهرب من الاعتراف باستقلال جمهورية الشيشان رغم الهزيمة التي لحقت بقواتها. إلا أنها أذعنت ورضخت في نهاية المطاف بعد أن اكتوت بلهيب المعارك وذاقت مرارة الهزائم المتتالية على يد جند الله. ففي يوم ١٧/ ٤/ ١٤١٧هـ (٣١/ ٨/ ١٩٩٦م) وقع الجنرال ليبيد والقائد الشيشاني مسخادوف اتفاقية سلام، وأخذت طريقها للتنفيذ بعد توقيعها من قبل رئيس الوزراء الروسي والرئيس مسخادوف، وقد تضمنت الاتفاقية مايلي:

- سحب لواءين عسكريين روسيين كانت موسكو تصر على بقائهما بصورة دائمة في الجمهورية.

---

(١) انظر: د. مانع الجهني «الشيشان. مأساة شعب» «مجلة المستقبل الإسلامي» ص ١٦، العدد ١٠٣، ذو القعدة ١٤٢٠هـ.

(٢) المرجع السابق.

- تشكيل لجنة للإشراف على عمليات إعادة التعمير.

- تحديد أُطر استقلال جمهورية الشيشان، وتأجيل قرار الحل السياسي لمدة خمس سنوات. وقد شكلت هذه الاتفاقية تحولاً حاسماً في موقف موسكو[١].

٤- توحيد صفوف الشعب الشيشاني وتطهيره من العناصر الفاسدة:

يقول ربنا جل وعلا في كتابه المحكم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾[الصف: ٤]، و«هذا إخبار منه تعالى بمحبة عباده المؤمنين الذين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله تعالى في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان. يجب أن يكون كالبنيان ملتصق بعضه ببعض»[٢].

وكما كان الشعب الشيشاني يقف صفاً واحداً يقاتل المعتدي الروسي عبر تاريخه الطويل، فقد وقف هذا الشعب متماسكاً كالبنيان لا تزيده المحن إلا تماسكاً وقوة. وقد تمثل هذا الصف الواحد بشكل جلي في أمرين اثنين:

الأول: وقفته خلف قيادة واحدة وهي قيادة الرئيس جوهر دودايف.

الثاني: رفضه العناصر الفاسدة التي سميت بالمعارضة، حيث زرعتها موسكو لضرب وحدته وتفريق صفه.

٥- نيل شرف الشهادة في سبيل الله عز وجل:

إن فوز المجاهد بنيل الشهادة في سبيل الله، هدف لا يصل إليه إلا من اصطفاه الله ورضي عنه وجعله في زمرة صفوة عباده من سالكي صراطه المستقيم، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء: ٦٩][٣] وإذا كان الشهيد ممن اصطفاهم الله، فإن من أعظم أهداف المجاهد أن ينال هذا الاصطفاء

---

(١) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٣٠٨.

(٢) محمد نسيب الرفاعي «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير» ٤/ ٣٥٥، ط مكتبة المعارف - الرياض، ١٤١٠هـ (١٩٨٩م).

(٣) محمد نسيب الرفاعي «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير» ٤/ ٣٥٥، ط مكتبة المعارف - الرياض، ١٤١٠هـ (١٩٨٩م).

ليفوز بالحياة السعيدة الأبدية بعد مفارقته للحياة الفانية مباشرة. وهذا ما دعا المؤمنين الصادقي الإيمان إلى لقاء أعداء الله في ساح الوغى راغبين في إعلاء كلمة الله وفي لقاء ربهم سبحانه بدمائهم الطرية، وجعل الشهيد وحده هو الذي يتمنى أن يرجع إلى الدنيا مراراً، لا للبقاء بين الأهل والأحباب والأموال وغيرها مما تتعلق به النفوس قبل لقاء الله، بل ليقتل شهيداً في كل مرة لما رأى وذاق من رضوان الله ونعيمه لما اصطفاه شهيداً من بين المجاهدين في سبيله[١].

ولقد تسلط العدو الباغي على المستضعفين من المسلمين في أرض الشيشان. يقول مولادي أودوغوف (وزير الإعلام الشيشاني ونائب رئيس الحكومة السابقة): «إن شعب الشيشان قد فقد من أبنائه مائة وأربعة (١٠٤) آلاف قتيل ـ نحسبهم شهداء بإذن الله ـ معظمهم من المدنيين»[٢].

وقد قدر عدد قتلى المجاهدين الذين يحملون السلاح بأربعة آلاف قتيل، وتبرز هذه الأرقام أكثر من حقيقة. فالعدد الكبير من القتلى غير المقاتلين ـ من الشيوخ والنساء والأطفال ـ يؤكد طبيعة حرب الإبادة التي شنتها روسيا ضد الشعب الأعزل، كما أن قلة عدد قتلى المجاهدين ـ حاملي السلاح ـ يؤكد الكفاءة القتالية العالية للمجاهدين[٣].

ألا هنيئاً لهؤلاء جميعاً الفوز بشرف الشهادة في سبيل الله ـ نسأل الله لهم ذلك ـ فهم الذين اصطفاهم الله تبارك وتعالى واتخذ منهم شهداء.

٦- هداية الشعب المجاهد وتسديد خطاه:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[العنكبوت: ٦٩]. يقول الإمام ابن جرير الطبري[٤]: «والذين قاتلوا... لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة،

---

(١) انظر: د. عبد الله أحمد عبد القادر «الجهاد في سبيل الله» ٢/ ١٧٠، ط (٢) دار المنار ـ جدة ١٤١٣ (١٩٩٢م).

(٢) انظر: بسام العسلي «حرب الشيشان: بداية أم نهاية» ص ٦٧، مجلة «الفيصل» الصادرة عن: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، العدد ٢٥٩، بتاريخ: محرم ١٤١٩هـ (مايو ١٩٩٨م).

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) الإمام ابن جرير الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر. مفسر، مقرئ، محدث، مؤرخ، فقيه، أصولي، مجتهد، عالم عصره. صاحب التصانيف البديعة. ولد بطبرستان عام ٢٤٤هـ (٨٣٩م) وطلب العلم وأكثر الترحال، وكان من أفراد الدهر علماً. من تصانيفه: جامع البيان عن تأويل القرآن، وتاريخ=

وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ[1] فقد أصدرت القيادة الشيشانية في رجب ١٤١٧هـ (ديسمبر ١٩٩٦م) مرسوماً بتحويل المحاكم إلى محاكم شرعية تطبق نصوص الشريعة الإسلامية وأحكامها.

كما أصدرت مرسوماً آخر بأن تصبح اللغة العربية مادة إجبارية في المدارس الشيشانية بمراحلها جميعاً. وانتشرت مراكز تحفيظ القرآن الكريم، وأصبح الحجاب الشرعي ظاهرة منتشرة في المدن والقرى.

٧- تعزيز التواصل الأخوي مع شعوب العالم الإسلامي:

لقد كان من أهم ثمرات ذلك الجهاد الشيشاني أن عزز التواصل والتلاحم الأخوي الإيماني بين ذلك الشعب والعالم الإسلامي. ذلك أن الشعوب الإسلامية لم تشغلها همومها ووفرة مشكلاتها عن متابعة ما كان يحدث لإخوانهم من فظائع وجرائم على يد عدو حاقد، وكان ذلك مصدر إزعاج كبير للقيادة الروسية التي حاولت عبر مبعوثيها وعبر الاتصالات الدبلوماسية عزل شعب الشيشان عن كل إمكانات الدعم الخارجي، حتى في حدود الدعم الإنساني والدبلوماسي.

إن الأخوة الإيمانية تفرض على المسلمين المحبة والنصرة وتفريج الكربات، من هذا المنطلق تحركت مؤسسات العمل الخيري الإسلامي التي هي روح الأمة النابض بالحياة، تحركت من أجل تخفيف وطأة الألم والمعاناة الكبيرة التي ألمت بإخوانهم.

وبهدف التعريف بمحنة الشعب المسلم زار البلاد الإسلامية العديد من الشخصيات والوفود الشيشانية، وقد أسهم ذلك كله في تعزيز التواصل مع شعوب العالم الإسلامي.

= الأمم والملوك، وتهذيب الآثار، وغيرها. توفي سنة ٣١٠هـ (٩٢٣م) ببغداد. انظر: الذهبي «سير أعلام النبلاء» ١٤/ ٢٦٧. وانظر: عمر كحالة «معجم المؤلفين» ٣/ ١٩٠.

(١) ابن جرير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ٢٠/ ٦٤، ط دار التربية والتراث ـ مكة المكرمة، دون ذكر سنة الطبع.